

علم التاريخ عند المسلمين وتطوره

في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)

د. محمد رجائي ريان
جامعة اليرموك

مقدمة :

مما لا شك فيه أن القرن الثالث الهجري يعتبر خاتمة طور خاص بالنسبة لعلم التاريخ عند المسلمين ، وفي أواخره بلغ هذا العلم سن الرشد ، وخير من يمثله من المؤرخين الطبري (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) ، ففي كتابه « تاريخ الرسل والملوك » بلغ التدوين التاريخي ذروته ، واعتمد المؤرخون عليه ، مثل مسكويه وابن الاثير وابن خلدون والذهبي .

ومن الملاحظ أن الجزء الاخير من تاريخ الطبري ينم عن ضعف في المادة وينذر بأن أساليب المحدثين لم تعد كافية وحدها لكتابة التاريخ في الاسلام ، بعد أن تعقدت النظم الحكومية وأصبح الكتاب ورجال البلاط والمتصلون برجال الحكم خير مصدر لكثير من الاخبار ، وهذا ما برز بوضوح في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) .

بعد القرن الرابع الهجري من الناحية السياسية بداية عصر الاضمحلال النهائي للخلافة لكنه ، من ناحية أخرى ، عصر ازدهار الحضارة العربية الاسلامية ، أو النهضة الاسلامية كما سماه ، متز (Metz) (١) . فمن الناحية السياسية ، أصبحت خارطة الارض الاسلامية في القرن الرابع الهجري تضم مجموعة كبيرة من الدول الصغيرة ، وتضعفت التبعية لمركز الدولة في بغداد بدخول عناصر بشرية جديدة في جسم الدولة الاسلامية ، فضعفت الخلافة وتدهورت سلطة الخلفاء (٢) ، وأخذت الدول الاسلامية تبرز في ظل ضعف هذه الخلافة ، فدولة بني بويه سيطرت على العراق وفارس والري وهمدان واصفهان ، وعلى بغداد نفسها في عهد معز الدولة البويهي (٣٠٣ هـ / ٩١٥ م - ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م) (٣) ، وسيطر الحمدانيون على الموصل ثم حلب وبرز سيف الدولة الحمداني (٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م - ٣٦٧ هـ / ٩٦٧ م) بعد أن تدهورت الدولة الاخشيديية في مصر ، كما ظهرت عدة دول في المشرق الاسلامي أهمها الدولة السامانية (٢٦١ هـ / ٨٧٤ م - ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م) ، والدولة الفزنوية (٣٥١ هـ / ٩٦٢ م - ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م) (٤)

دراسات تاريخية ، ٣٣ و ٣٤ ، أيلول - كانون الاول ١٩٨٩

في الغرب سادت الدولة الاموية في الاندلس ، خاصة في عهد عبد الرحمن الثالث الناصر (٣٠٠هـ/٩١٢م - ٣٥٠هـ/٩٦١م)، ودولة الادارسة ، في أقصى الغرب الاسلامي . ثم برز الفاطميون في المهديّة بتونس وتوسعوا نحو الغرب والشرق وأزاحوا الاخشيديين وضموا مصر (٣٥٨هـ/٩٦٩م) في عهد معز الدولة (٣٤١هـ/٩٥٢م - ٣٦٥/٩٧٥هـ) (٥) . وبذلك فقدت الوحدة السياسية الاسلامية وأصبح للمسلمين في وقت من الاوقات ثلاثة خلفاء ، عباسي في بغداد ، وفاطمي في مصر ، وأموي في الاندلس ، وكان ذلك احدى السمات الرئيسة للقرن الرابع الهجري (٦) .

تأثر المؤرخون المسلمون بهذا التمزق ، وأصبح المؤرخ محدودا بأفق الكيان السياسي الذي يعيش فيه ، وندر منهم من تمكن من تناول أحداث الاقاليم القاصية . كما أثر هذا التمزق في حياة المؤرخ الفكرية ، وترك بصماته على التاريخ عند المسلمين (٧) .

ومن ناحية أخرى كان علم التاريخ عند المسلمين ، ومنذ مطلع القرن الرابع الهجري ، قد بدأ مسيرته العلمية المستقلة مسجلا طورا خاصا في تلك المسيرة الحضارية ومتأثرا دون شك بنمو العلوم الاخرى ، ففي هذا القرن تطورت المادة التاريخية وتأثرت بالنمو الحضاري وبحاجات السياسة والادارة ، واهتم الناس بالتدوين التاريخي واصبحوا يقبلون عليه كجزء من تلك الفعالية الواسعة التي شملت جميع نواحي الحياة وجميع فروع المعارف ، وأصبح معظم المؤرخين يتجهون الى الكتابة التاريخية لتوفرهم على الدراسة ، ولم يكونوا يؤلفون تبعا لأمر القائمين بالحكم ، اذ لم يكن هناك مؤرخون رسميون متصلون بالخلفاء والامراء الا فيما ندر ، وذلك على الرغم من أن عددا من المؤرخين كانوا على صلة وثيقة بالحكومة ، ومن بينهم الوزراء والكتاب والقضاة (٨) .

وللاحاطة بعلم التاريخ عند المسلمين في القرن الرابع الهجري والتطور الذي حصل فيه يتحتم علينا التعرض لمؤرخيه من حيث أصولهم وتكوينهم العلمي واهتماماتهم الفكرية ، ومادته ، ومناهجه .

المؤرخون :

المفهوم القديم للتاريخ هو تسجيل اخبار الأحداث والناس ، ولذلك كان دوما بالضرورة على صلة بالاحداث السياسية وأخبار الرجال ، تأثر بها أكثر من أي علم آخر . يقول ابن خلدون : « التاريخ أخبار عن الايام والدول والسوابق من القرن الاول ، وكذلك الانبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم » (٩) ويقول الحافظ جلال الدين السيوطي ان موضوع التاريخ « احوال الاشخاص الماضية ومنهم الملوك والسلطين » (١٠) .

كان علم التاريخ عند المسلمين ، أول الامر وخلال القرون الثلاثة الهجرية الاولى في خدمة الدين ، لان البواعت الرئيسية التي شجعت المسلمين على العناية بتدوين التاريخ ، الرغبة في تزويد الخلف بتراث الاسلام ، والحماسة لاثبات صلة النسب بالرسول (عليه السلام) ثم الحرص على تمجيد الفتوح الاسلامية . لذلك اتصل التاريخ السياسي بالتاريخ الديني ولم يعن بالتاريخ الاجتماعي والاقتصادي . وتأثر المؤرخون بالظروف السياسية في القرون الهجرية الاولى . والطبري خير من يمثل المؤرخين في تلك المرحلة ، فاقصر التأريخ على رجال علوم الدين بشكل كبير أو اللغة على قلة .

ولكن منذ القرن الرابع الهجري أسهم في تدوين التاريخ مجموعات متنوعة من العلماء ضمت عمال الدواوين والكتاب ورجال البلاط والوزراء الذين أصبح لهم نتيجة لتطور النظام السياسي الاسلامي ، شأن خاص ، فاطلعوا على دوائر الاحداث ، فأصبح تدوين التاريخ السياسي في الغالب مهمة هؤلاء الموظفين والمقربين من البلاط . لهذا استبعد المفهوم الديني ، الى حد ما ، وجنح التاريخ الحولي الى تركيز الاهتمام المتزايد بأعمال الحاكم والحاشية (١١) .

ومن الامثلة على هؤلاء المؤرخين الذين أعطوا القرن الرابع الهجري هذه الميزة في التحول في علم التاريخ عند المسلمين: **الصائبي** ، **ابو اسحق ابراهيم بن هلال بن زهرون** (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م) . من الصائبة (١٢) ، كان أبوه هلال طبيباً ماهراً في خدمة توزون . وشب ابراهيم على دراسة العلوم التي سبقه عليها أفراد من أسرته كانوا جميعاً مهرة في الطب والفلك والرياضيات .

أصبح الصائبي كاتباً في ديوان الانشاء ، بارزاً فيه ، ثم عينه معز الدولة البويهى كبيراً للكتاب في ديوان الانشاء عام ٣٤٩هـ / ٩٦٠م ، واحتفظ بمنصبه في ديوان الوزارة في عهد ولده عز الدولة ، وعندما قدم عضد الدولة ثم عز الدولة الى بغداد عام ٣٦٤هـ / ٩٧٤م ، كان من مهام ابراهيم تحرير اتفاق ودي يحدد مركز كل منهما ، لكن حدث أن سجن الصائبي عندما توفي عز الدولة (١٣) .

عرف عن الصائبي أنه ألف كتاب « **التاجي** » نسبة الى لقب عضد الدولة « تاج الملة » (١٤) . ويذكر مارجليوث Margoliouth انه توجد شذرات منه حفظت عند العتبي (ت ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م) في كتابه « **اليمني** » في تاريخ سبكتكين ومحمود الغزنوي ، وعند الثعالبي (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) في كتابه « **بيمة الدهر في محاسن اهل العصر** » (١٥) ، كذلك نقل مسكويه في كتابه « **تجارب الامم** » كثيراً مما جاء في هذا الكتاب (١٦) .

والحقيقة ، يمكن اعتبار كتاب التاجي من أمثلة كتب التاريخ ذات الطابع

الحكومي ، على أساس أن الصابي كان وزيرا ، وعلى صلة وثيقة بالحكومة ، على الرغم من أنه لم يكن راضيا عن ذلك بدليل ما قاله عندما دخل عليه صديق فسأله عما يفعل فقال « أباطيل أنمقها وأكاذيب ألفقها » (١٧) ، ويؤكد مارجليوث أن الصابي وصف تاريخه هذا بأنه حزمة من الأكاذيب ، ولذلك تعرض لانتقام عضد الدولة فاعتقله (١٨) .

ومما يجدر ذكره أن أحد الباحثين (١٩) ، وجد قطعة صغيرة من التاجي مصورة في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، وقد جاء في مقدمتها : « هذا ما انتزع من الكتاب المعروف بالتاجي في أخبار الدولة الدليمية الذي ألفه أبو اسحق إبراهيم بن هلال الكاتب الصابي » ثم يذكر محقق المخطوطة أنه أضيف إليه بعض الأخبار من بعد عصر أبي هلال تتضمن الكلام على أئمة الزيدية في طبرستان واليمن حتى القرن السادس الهجري تقريبا (٢٠) .

وتعتمد شهرة الصابي أيضا على الرسائل أي الخطايات الرسمية ، التي وردت نماذج كثيرة منها في « يتيمة الدهر » للثعالبي و « ارشاد الأديب » لياقوت (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) و « صبح الأعشى » للقلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) ، وهي على جانب عظيم من الأهمية التاريخية ، تكمل معلوماتنا عن عهد ضعف الدولة (٢١) .

ويلاحظ المتتبع لأسلوبه الأثر الفارسي في كتاباته بابهامه واطنابه ، إلا أنه خلو من السجع ، واضح رائع إذا ما قورن بالنماذج المتأخرة من الكتابات التاريخية (٢٢) ، كذلك وحسب رأي مارجليوث ، يظهر في أسلوبه الفن الأدبي (٢٣) .

المسيحي ، عز الملك محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م) ويلقب بالأمير المختار والمعروف **بالمسيحي الكاتب** ، الحراني الأصل المصري المولد . كان على زي الاجناد ، ثم تولى ديوان الترتيب واتصل بخدمة الحاكم بأمر الله ، وكان اتصاله به سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٧م (٢٤) ، تلقى ثقافة أدبية علمية واسعة متعددة الجوانب وسمع الحديث في سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م ، على الحافظ عبد الفني بن سعيد الأزدي ، أحد أئمة الحديث ، عندما جلس بالجامع العتيق بمصر (٢٥) .

للمسيحي مصنفات كثيرة ، بلغت نحو الثلاثين ، وهذا التراث الضخم لا نكاد نظفر منه في عصرنا بأثر تام أو فصل تام . وقد اشتهر بالاخص بتاريخه الكبير « **أخبار مصر** » (٢٦) ، وهو يؤرخ للخمسين سنة الأولى من خلافة الفاطميين ، ويقع في نحو أربعين مجلدا يوجد منها مجلد واحد وهو الجزء الأربعون (٢٧) .

تدور حوادث الجزء الأكبر من الجزء الأربعين في مدينة الفسطاط حيث كان يقيم المسيحي وحيث اعتنى بتسجيل الحياة اليومية . فنجدته يقول « في يوم السبت لعشر

بقي فيه جلس أمير المؤمنين عليه السلام في مصر في قاع الذهب (٢٨)، بعد أن زين وبسط وعلقت فيه الستائر الديباج والستور المذهبة الحسان (٢٩).

وفي مكان آخر يقول « وفي يوم الأحد لليلة بقيت من صفر أخذ رجل يتصوف وقد قطع طرف سرج فضة لأحد الأتراك بمصر ، فقبض عليه سامي الدولة ابن كافي وأحضره الشرطة وقرره ، فأقر أنه لم يقطع من عمره غير طرفين أحدهما حديد والآخر فضة وزنه خمسة دراهم » (٣٠).

كذلك لم يقصر كتابه على الأحداث السياسية ، كعادة أقرانه من المؤرخين في ذلك العصر ، بل اهتم بتسجيل جوانب الحياة كافة في عصره : الاجتماعية والاقتصادية والأدبية ، وهذا يجعل لكتابه أهمية خاصة ومميزة على معاصرة وساعده على ذلك صياغته لتاريخه في صورة يوميات أتاحت له الحديث عن طرائف الناس وحرفهم وطباعهم ، والتسامح الديني الذي تمتع به المسيحيون . ويشير أيضا الى الازمات الاقتصادية التي تعرض لها المصريون بسبب عدم توافر الغلات ، وهي معلومات هامة لا نجد لها مثيلا في المصادر الأخرى ، ومن الأمثلة على ذلك قوله « في يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت منه اشتد أمر الفلاء والقحط بمصر وبيع الخبز السميد رطلين بدرهم وربع والخبز الخشكار رطلين بدرهم » (٣١).

ولم يجعل المسيحي من كتابه تاريخا محليا ، بل ذكر في مواضع متفرقة من هذا الجزء الأربعين وفق ما يقتضيه نظام التأليف الحولي ، طبيعة علاقة مصر بجيرانها وخاصة الشام والحجاز (٣٢). كذلك فإن هذا الجزء من أخبار مصر قدم معلومات وافرة عن أحوال الدولة الفاطمية تنوه بقيمة كتاب المسيحي ، وتجعل منه مستقى خصباً لمؤرخي مصر الإسلامية حتى عصر متأخر جدا ، وصورة واضحة لعلاقة مصر بجيرانها.

وأهم هؤلاء المؤرخين ، مسكويه ، أبو علي ، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) المؤرخ والفيلسوف ، كاتب سر المهلبى أبو محمد الحسن وزير معز الدولة البويهى ، أصبح بعد ذلك حظيا لابن العميد وابنه أبى الفتح اللذين وزرا لعضد الدولة (٢٣٨هـ/ ٩٤٩م - ٢٧٣/ ٩٨٣م) ، وصمصام الدولة (٣٧٢هـ/ ٩٨٢م - ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م) البويهيين (٣٣). فعاش في قصور الأمراء والوزراء ، وخاصة بلاط عضد الدولة ، وتسلم مناصب متعددة ، منها أنه أصبح خازنا للكتب عند الوزير المهلبى ، ثم قيما على خزانة كتب ابن العميد (٣٤). ويذكر القفطى أنه كان أيضا كاتباً وخازنا للكتب عند عضد الدولة فسمي بالخازن (٣٥).

نشر كتابه « تجارب الأمم » ، أميدروز Amedroz في ثلاثة أجزاء ، الأول ويحتوي على حوادث خمس وثلاثين سنة من ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م الى ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م ويبدأ

بخلافة المتقي بالله ، والثاني ويحتوي على حوادث أربعين سنة من ٣٥٩هـ/٩٦٩م الى ٣٦٩هـ/٩٧٩م ، ويبدأ بخلافة المقتدر بالله ، والجزء الثالث ويحتوي على حوادث خمس وعشرين سنة من ٣٦٩هـ/٩٧٩م الى ٣٩٣هـ/١٠٠٢م ، وهو ذيل لكتاب تجارب الامم للوزير أبي شجاع محمد بن الحسن الملقب بظهر الدين الروذ راوري، من ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م الى ٣٨٩هـ/٩٩٨م ، وتليه قطعة من تاريخ هلال الصابي الكاتب الى سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م (٣٦) .

يعتبر مارجليوث أن الكتابة التاريخية بلغت عند مسكويه ، بالنسبة للمؤرخين المسلمين ، ذروتها في هذا الكتاب (٣٧) . أما بارنر فقد أشار الى أن مسكويه تميز في هذا الكتاب بالبصيرة التاريخية أو الحس التاريخي ، بالرغم من تأكيدده بأنه لم يصل الى مستوى ابن خلدون في فلسفة التاريخ (٣٨) .

يتصف مسكويه في « تجارب الامم » كمؤرخ ، بصدق الاحكام والبعد عن الهوى والصراحة حتى فيما يقوله عن أعظم حكام المسلمين ، فهو لم يتزلف الى هؤلاء الحكام ولم يحابهم ، بل ذكر ما انتبه اليه من نقائص بعضهم ، وقد أعجب مارجليوث بموقفه هذا ، اذ لم يجد أثرا للتحيز في كتابه حيث روى اخبار مؤسسي دولة البويهيين دون أية محاولة لاختفاء جرائمهم ، ووصمهم باتهام فظيع في حالة معز الدولة ، وجعل من أبي الهيجاء ما يشبه البطل وهو من بني حمدان الذين كانوا على عداء دائم للبويهيين (٣٩) .

كذلك اعتبر كتاب « تجارب الامم » مصدرا جديرا بالثقة في أغلب الاحيان ، لأن مسكويه اعتمد فيه على الطبري الى درجة كبيرة في الحوادث التي لم يدركها ، ثم جمع باقي المعلومات من مصادرها ، لانه كان على اتصال بتلك الشخصيات التي صحبت الاحداث ، ونتيجة لمناصبه التي تقلدها في البلاط البويهي كان ايضا على اطلاع على اساليب الحرب والادارة . وتعليقاته على المسائل الحربية ، مثل أسباب سقوط المهلب و اخطاء بختيار في حربه مع عضد الدولة أكبر دليل على ذلك ؛ هذا في الوقت الذي اظهر ايضا عجز سيف الدولة ولم يخف هزيمته أحيانا مع البيزنطيين ، مع أن سيف الدولة كان يعتبر بطلا دينيا كبيرا يشاد به في حروبه مع البيزنطيين (٤١) . ويمكن القول ان مسكويه في كتابه قد جعل من التدابير السياسية لب التاريخ ، وأهل السياسة هم المعنيون بالتاريخ في المكان الاول .

ويظهر في القرن الرابع الهجري عدد من المؤرخين كانوا أصحاب مهن حرة أو قاموا بأعمال مهنية صغيرة . مثالنا على النوع الاول المؤرخ سعيد بن البطريق وهو الاسم العربي ليو تقيوس (Eutyichius) بطريق الاسكندرية سنة (٣٢١هـ/٩٣٣م - ٣٢٨هـ/٩٣٩م) . ولد سعيد في الفسطاط عام (٢٦٣هـ/٨٧٦م) (٤٢) . وكان في الاصل طبيبا نصرانيا له دراية بعلوم النصراني ومذاهبهم ، وله كتاب في الطب (٤٣) . كذلك له كتاب

«التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق» ، وهو تاريخ طويل مكتوب بالعربية ، بدأ فيه المؤلف من عهد آدم حتى سني الهجرة على طريقة التأريخ الحولي . والكتاب يتضمن عرضا لتواريخ ما قبل الاسلام من وجهة نظر المؤلف المسيحية ، مثل بني اسرائيل والاغريق والرومان والنصارى والروم والفرس ، وينعكس اهتمامه بالمسائل الدينية في مناقشته للمانوية والنساطرة واشاراته الى الاحداث الهامة في تاريخ الكنيسة (٤٤) ، ويذكر روزنثال أن كتاب سعيد بن البطريق يستند بعضه الى المصادر الاسلامية ، غير أنه يستمد معلوماته الهامة من المصادر البيزنطية (٤٥) .

وقد اكمل يحيى بن سعيد الانطاكي (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥ م) كتاب ابن البطريق بعد أن مضى ما يقرب من قرن على تأليفه ووضع له عنوان « صلة كتاب سعيد بن البطريق » واتبع فيه منهجه التاريخي ، ويبدو من كتابته أكثر وعيا من سعيد بن البطريق في تفهم التاريخ العام العالمي ، وقد نشره الاب لويس شيخو في بيروت عام ١٩٠٩ (٤٦) . ويذكر على ابراهيم حسن أن الكتاب الذي أخرجه يحيى بن سعيد الانطاكي سماه « تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي » وهذا الكتاب هو ذيل لكتاب آخر لسعيد بن البطريق « نظم الجوهر » ، جمع فيه يحيى بطاركة الاسكندرية وبيت المقدس وانطاكية والقسطنطينية والخلفاء والملوك والسلاطين وسيرهم ، من ٣٢٦هـ / ٩٣٧م الى ٤٥هـ / ١٠٥٣م (٤٧) .

وعلى النوع الثاني نأخذ ابن النديم محمد بن اسحق الوراق البغدادي (ت ٤٣٨هـ / ١٠٤٦ م) في كتابه « الفهرست » وهو ابن تاجر كتب في بغداد ، سحب أباه في شؤون تتعلق بتجارة الكتب فزار الموصل مرارا (٤٨) . وفي عام ٣٧٧هـ / ٩٨٧م فكر ابن النديم في وضع مصنف من أجل الوراقين ومجبي الكتب واتخذ له غاية معينة ذكرها في مقدمته فقال : « هذا فهرست كتب جميع الامم من العرب والعجم الموجود منها بلغة العرب وعلمها في اصناف العلوم وأخبار مصنفها وطبقات مؤلفيها وانسابهم وتاريخ مواليدهم ومبلغ أعمالهم وأوقات وفاتهم وأماكن بلدانهم ومناقبهم ومثالبهم منذ ابتداء كل علم اخترع الى عصرنا هذا وهو سنة ٣٧٧ للهجرة » (٤٩) . وبذلك يعطينا ابن النديم مفهوما للثقافة العربية الاسلامية بأنها تشتمل على كل العلوم والفنون التي ظهرت مكتوبة باللغة العربية سواء كان ذلك عن طريق النقل أم التأليف .

وبعد المقدمة ينتقل ابن النديم الى تصنيف هذه العلوم التي جمعت عنده معلومات عنها فيجعلها في عشر مقالات ، ثم تفرع كل مقالة الى فنون يختلف عددها حسب سعة المجال الثقافي الذي يتناوله في المقالة (٥٠) ، والحقيقة فقد احاط بما كتب في هذه الفنون والتي شملت الثقافة العربية الاسلامية في القرون الاربعة الاولى للهجرة . واذا كان ابن النديم قد أغفل بعض الفنون ، فهو لم ينس أن يذكرها من خلال عرض

التراجم ، فخلال بحثه في مقالته الثانية في النحو واللغة مثلا ، نرى اشارات لبدایات بعض العلوم كالجغرافية والنبات والحيوان ، ارتبطت بمحاولات جمع اللغة العربية ، وأمورا شبيهة بذلك في المقالات الاخرى (٥١) . كذلك فإن ما خلفه لنا من تراجم الاشخاص نزر يسير اذ أنه لم يلق بالا الى المؤلفين بقدر ما حصر اهتمامه في مصنفاتهم ، وهو المجال الذي برزت فيه قدرته بحق ، فلم يكن ابن النديم من أصحاب السير بل من جامعي أسماء المصنفات في فروع العلوم المختلفة (٥٢) .

وحقيقة الامر أن صاحب الفهرست كان على احاطة تامة بفروع العلوم المختلفة ، فهو يقدم لكل من مقالاته بلمحة عن نشوء العلم وأقسامه وفنونه ، لذلك يمكن القول « بأن هذا الكتاب سيبقى على الدوام المصدر الرئيسي لمعرفة الادب والعلم في القرون الاربعة الاولى للإسلام » (٥٣) .

واستكمالا لهذا الجانب من موضوع مؤرخي القرن الرابع ، فقد أصبح التاريخ عند بعض العلماء في هذا القرن هو نشاطهم الفكري الوحيد ، وبحثهم منصب على المواضيع الفكرية مثل **ابن زولاق الحسن بن ابراهيم بن الحسين** (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م) (٥٤) . وهو مؤرخ مصري ، عاش في مصر في زمن شهد فترات متعاقبة من الاضطراب وتحول السلطان ، فغلب عليها بنو الاخشيد حينما بعد افول الدولة الطولونية ، ثم افتتحها الفاطميون وبنوا القاهرة واتخذوها مركزا لخلافتهم ودعوتهم ، وقد شهد ابن زولاق هذا الانقلاب فجعله موضوعا لمباحثه ودراساته التاريخية ، وقد ساعده على هذا أيضا انه نشأ في معهد العلم والدرس ، فكان جده الحسن بن علي من مشاهير العلماء ، وكان من أسرته أيضا محمد بن زولاق أحد أقطاب العربية في عصره ، ودرس الفقه على أبي بكر بن الحداد والرواية التاريخية على أبي عمر الكندي (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م) وهو مؤرخ مصري أيضا (٥٥) . اختار ابن زولاق أن يكون مؤرخ المرحلة التي شهدا من تاريخ مصر الاسلامية ، فاستحق أن يطلق عليه كراتشكوفسكي مؤرخ العهد الفاطمي (٥٦) .

لم يصلنا كاملا من آثاره غير رسالة أدبية في أخبار سيبويه المصري لا علاقة لها بمجهوده التاريخي . على أننا تلقينا مع ذلك على يد بعض المؤرخين المتأخرين قطعا وشذورا كثيرة من آثاره التاريخية منها ما لا يقل كثيرا عن الاصل وفيها ما يكفي للاحاطة بمجهود ابن زولاق التاريخي (٥٧) . ويمكن تقسيم هذا المجهود الى قسمين ، أحدهما يتناول مصر بشكل عام ، والآخر يتعلق بتاريخ مصر بشكل خاص .

والقسم العام يشمل كتبا ثلاثة وهي : كتاب « **خطط مصر** » و « **تاريخ مصر** » وكتاب « **فضائل مصر** » (٥٨) . والاخير مخطوطة موجودة بالمكتبة الاهلية بباريس تحت رقم ١٨١٧ ، استقصى فيه مؤلفه خطط الفسطاط والعسكر والقطائع ، وهو أول

مؤرخ لخطط القاهرة المصرية ، شهد قيامها قبل وفاته بنحو ثلاثين سنة . وانتهى هذا الكتاب بسنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م . وقد اكمل هذه المخطوطة أحد الانراك ابتداء من سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م وما تلاها من السنين ، ويظهر أنه أدخل على الكتاب الذي وضعه ابن زولاق معلومات استتقاها من المؤرخين المتأخرين أمثال القاضي وأبي الفرج وابن الجوزي والذهبي(٥٩) .

أما « تاريخ مصر » فتوجد منه رسالة مخطوطة في جوتا تنسب الى ابن زولاق تتناول تاريخ مصر حتى ٤٩هـ/٦٦٩م ، وقد عني المستشرق جوتهيل ببحث هذه الرسالة وتحليلها(٦٠) .

أما كتاب « خطط مصر » ، الذي يذكره ابن خلكان ، فقد تناول فيه ابن زولاق قيام الفسطاط وتوزيع مناطقها بين القبائل وانشاء معاهدها الاولى ، كما تناول خطط العسكر ثم خطط القطائع ، وقد ذكر هذه الخطط بالاضافة الى ابن خلكان ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) (٦١) .

أما القسم الخاص من تراث ابن زولاق ، فقد انتهى اليانا منه قسم لا بأس به على يد المتأخرين ، مثل سيرة الاخشيد ، وسيرة المعز لدين الله ، وهي حلقات متصلة في أخبار العصر الذي عاش فيه ابن زولاق ، وسيرة الاخشيد محمد بن طفج كتبها ابن زولاق بطلب من ابن الاخشيد أبي الحسن علي بن الاخشيد(٦٢) . وأمدنا في الوقت نفسه بمعلومات صحيحة عن تاريخ الصدر الاول من قيام الفاطميين الى سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م ، وقد نقل معظم هذه السيرة في كتاب « المغرب في حلى المغرب » لابن سعيد الاندلسي المتوفي بدمشق ٦٧٣هـ/١٢٧٥م ، والذي خصت مصر فيه بقسم في منتهى الاهمية يقوم معظمه على النقل من المؤرخين المصريين أنفسهم وقد تناول الجزء الرابع منه تاريخ دولة بني الاخشيد وسمي كتاب « العيون الدعج في حلى دولة بني طفج » (٦٣) .

والحقيقة انه عند مراجعتنا لكتاب « المغرب في حلى المغرب » نشعر أننا حصلنا على كتاب ابن زولاق جميعه تقريبا ، من حيث الديباجة ونشأة الاخشيد وتتبع حياته مرحلة مرحلة ، وظروف تقلبه على مصر وأعماله وحروبه مفصلة حتى وفاته ، كل ذلك وعن طريق اتصال بن زولاق برجال الدولة . ويمكن اعتبار هذا الكتاب رسميا ، خص الاخشيد ببعض المديح ، ولكن عند تتبع ما جاء هذه السيرة نجد أمورا فيها تجرد ، وفيها منطق أحداث تعبر عن نقد للأخشيد . ومن ناحية أخرى فان أهمية سيرة الاخشيد لابن زولاق تعود الى أنه عرض فيه لأحداث شهداها أو عاصرها أو قريبة العهد به جدا ، مما يجعله مصدرا أصيلا يجب الاعتماد عليه ، مع مراعاة قواعد البحث العلمي من حيث المصادر والروايات .

وتبقى سيرة المعز لدين الله أهم آثار ابن زولاق التاريخية ، وهذا أمر طبيعي ، فقد شهد ابن زولاق ولادة العهد الفاطمي في مصر ، فحري به أن يكتب تاريخ هذا العهد بتغيراته وتقلباته ، وسيرة المعز لدين الله تمثل ذروة التغيير في أوضاع مصر السياسية والدينية . ونشير هنا أن هذه السيرة وصلتنا على يد المقيزي أجزاء عديدة منها (٦٤) ، ومن هذه الأجزاء المتناثرة في كتب المقيزي تظهر لنا سيرة المعز المليئة بالحوادث والتفاصيل ، وما أوجده النظام الفاطمي في مصر من أنظمة ورسوم وتقاليد سياسية واقتصادية واجتماعية .

اتبع ابن زولاق في كتابه أسلوب تسلسل العنصر الزمني مرتباً على الأيام والشهور ، وهو بذلك استعمل حوادث العصر مرتبة حسب تاريخها وعن طريق استقصاء كل الحوادث خلال فترات زمنية متقاربة . ويمكن أن يقال أن ابن زولاق اتجه نحو التخصص في مجهوده التاريخي فقد تناول في تاريخ مصر عبر دول العصر التي عاش فيه في توسع وبعد عن الإيجاز ولذلك عد في نظر الكثيرين أول مؤرخ مصري أثر التخصيص على التعميم ، كذلك امتاز مجهوده بالتححرر من كثير من قيود الرواية والاسناد واعتمد على المشاهدة والتحقيقات الخاصة وجعلها مصادره الحقيقية : في الوقت الذي لم تظهر على كتاباته ما يفيد التشيع أو التحامل ، فهو رواية ينقل ما سمع وشاهد وحقق عن طريق صلاته وعلاقته بشخصيات مصر التي عاصرها ، فجعل الرواية التاريخية وكأنها تدخل في مرحلة جديدة من الدقة وحسن العرض .

المادة التاريخية وتطورها :

في القرن الرابع الهجري ، تنوعت المادة التاريخية وتعددت مواضيعها ويعود ذلك لتأثر التاريخ بالحاجات السياسية والإدارية لهذا القرن ، ولبلوغ هذا القرن أوج تطوره وفاعليته الحضارية ؛ مما أدى إلى تأثر علم التاريخ بالعلوم الأخرى وجعل له ثروة كبيرة من المعلومات ، فظهرت في هذا القرن كتب تتحدث عن الوزراء والكتاب والقضاة والولاة ، نعرض لأمثلة عنها :

كتاب « الوزراء والكتاب » للجهمياري محمد بن عبدوس بن عبد الله الكوفي (ت ٣٢١هـ / ٩٤٣م) مؤرخ نشأ في بغداد وكان حاجباً بعد أبيه للوزير علي بن عيسى ، ثم للوزير حامد بن العباس في خلافة المقتدر بالله ٢٩٥هـ / ٩٠٨م - ٣٢٠هـ / ٩٣٢م) وولي إمارة الحج العراقي (٦٥) .

يتحدث الجهمياري في كتابه (٦٦) ، عن الكتاب فيذكر أن عبد الحميد الكاتب حدد في رسالته مكانة الكتاب ، من حيث صناعتهم التي يعتاشون بها ، ومكانهم في المجتمع يأتي بعد الملوك مباشرة ، لأنهم أصحاب أشرف صناعة ، بهم ينظم الملك وتستقيم

للملوك أمورهم وتدبيرهم وسياستهم يصلح سلطانهم وتعمر بلادهم ، كما يتحدث في الكتاب عن دواوين الخراج وعلى أساس أنها في عهد عمر بن الخطاب كانت تدون بلغات الولايات التي كانت سائدة قبل الفتح وكتابتها من أبناء الولايات من غير العرب (٦٧) . ويشير الجهشيارى أن عملية تعريب سجلات دواوين الخراج في العراق والشام ومصر اكتملت أيام هشام بن عبد الملك ، وكان أغلب المتدربين من أبناء الكتاب الذين في خدمة الدولة ، فبعد تعريب الدواوين في العراق على يد صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج ابن يوسف الثقفي ، تتلمذ على يديه عدد من الكتاب الذين تولوا الدواوين في العراق حتى نهاية الدولة الأموية (٦٨) . أما ما جاء فيه من أخبار الوزراء فقد وقف فيه عند أبي أحمد العباس بن الحسن والذي وزر للمكتفي (٢٩٠هـ/ ٩٠٢م - ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) والمقتدر ، وقتل عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م .

والحقيقة أن كتاب الجهشيارى جاء كنمط يجمع بين التاريخ والسيرة ، وأصبح يعرف بتاريخ الأشخاص . لكنه في نفس الوقت يعتبر من أهم مصادر المؤرخين عن تاريخ الكتاب والوزراء منذ عهد النبي (صلم) حتى السنة التي توقف عندها سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م ، وقد نقل عنه ياقوت والصفدي وابن خلكان ، كما استفاد منه المستشرقون في حديثهم عن المراحل التاريخية التي مرت بها وظيفة الكتاب الوزراء من الناحية السياسية خاصة فرانز روزنثال في كتابه علم التاريخ عند المسلمين .

كتاب «الوزراء» أو «تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء» (٦٩) لهلal بن المحسن بن زهرون الصابي (ت ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م) وهو حفيد أبي اسحاق الصابي صاحب كتاب التاجي والرسائل المشهورة وقد سبق ذكره . كان أبوه المحسن صابئيا على دين جده ابراهيم فأسلم هلال في آخر عمره وحسن اسلامه وكان أول من دخل الاسلام من آل زهرون (٧٠) ، تلقى العلم على أشهر العلماء وهو صغير ، وناب عن جده أبي اسحق ابراهيم بن هلال في تولي ديوان الإنشاء كما تولى الكتابة لفخر الملك محمد خلف (٧١) ، وعاش فترة هامة في حياته في بغداد فعاصر أحداثها وعرف أخبارها . ومن خلال هذه الحياة الحافلة كتب كتابه السالف الذكر أو ذيل على ما كتبه ثابت بن سنان (٧٢) وهذا ما يؤكد مارجليوث أيضا (٧٣) . فأكمل بكتابه هذا ما انتهى اليه الجهشيارى في تأليفه للوزراء والكتاب اذ وقف عند نهاية العباس بن الحسن في مطلع خلافة المقتدر (٢٩٥هـ - ٣٢٠هـ/ ٩٠٨م - ٩٣٢م) (٧٤) .

وكتاب «الوزراء» لهلal بن المحسن يشتمل على أسرار تاريخية نادرة وحقائق تدعو الى العظة والاعتبار توضح ما كانت عليه الحال في خلافة المقتدر وما سبقها ، ويتعرض للأنظمة التي كانت تسير عليها الدولة العباسية وأنواع الرقي في الدواوين والدقة في نظام المراسيم وأبائها والتوقيع عليها ، وحفظها في ملفات ، وما كان يتبع في

أمور المخاطبات والمكاتبات الصادرة والواردة ، والحقائق التاريخية المبررة القاسية وكيف كانت تحاك المؤامرات والدسائس وما كان ينفق في سبيل الوصول الى المناصب .

وتأتي أهمية هذا الكتاب من المصادر التي أتيحت لهلال بن المحسن في تأليفه كتابه جعلته ثقة فيما يروي . وأول ذلك صفته الرسمية في الدولة التي يسرت له الاطلاع على الوثائق الرسمية ، والامر الثاني اطلاعه على تاريخ ثابت بن سنان خال جده (أرخ ثابت في أواخر القرن الثالث الهجري الى سنة ٣٦٠هـ وهي فترة عاصرها أو لقي معاصريها) ، والامر الثالث ما رواه أو نقله عن بعض معاصريه وخاصة القاضي التنوخي أبي علي المحسن (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م) والاطلاع على كتاب الوزراء والكتاب للجهمشاري وتلقيه عن طريق السند والرواية اخبار عن أناس اتصلوا بالدواوين ، وخالطوا الحاكمين .

وهلال لا يسير حسب التسلسل التاريخي بل يتناول الوزير الاول ثم وزارته الى أن يستوفيهما ، تاركا ما تخلل عزله ، ويأتي بعد ذلك بأخبار منشورة للوزير فيها طرائف ونوادر ، فيبدأ بعلي بن محمد بن موسى الفرات فيقول في مقدمة كتابه « نحن نبدأ فيما نورده بأخبار أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات ، لأنه تلى أبا أحمد العباس ابن الحسن ونجعل ذكر وزرائه الثلاث متصلا غير منقطع ومجمعا غير متقطع ، ونجري على هذا المثال في الوزراء الذين تكررت ولاياتهم إذا كان العرض سياقة أخبارهم ومجاري أمورهم الى غاية مددهم وانقضاء أيامهم لا ترتيب خلفائهم وأمرائهم وأوقاتهم وأزمانهم » (٧٥) .

كتاب ولاية مصر أو أمرائها وتاريخ قضاة مصر (٧٦) ، لمحمد بن يوسف بن يعقوب الكندي (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م) . مؤرخ مصري من بني كندة ، ولد في فسطاط مصر وتوفي فيها ، نشأ في بيئة علمية فدرس الحديث والسنة على أكابر عصره ومنهم أبو عبد الرحمن النسائي (٧٧) المحدث المشهور ، وابن قديد الأزدي (٧٨) . عرف بأنه كان من أعلم الناس بتاريخ مصر وأهلها وأعمالها وثغورها .

والموضوعان اللذان يشتمل عليهما الكتاب مستقلان ، يكون كل منهما بذاته كتابا خاصا ، فالكتاب الاول ، ويعرف بـ « ولاية مصر » وهو العنوان الذي أثبتته المخطوطة التي وصلت إلينا (٧٩) ، يتناول تعداد الولاة ، دون تمهيد ولا مقدمة ، فيبدأ بولاية أبي عبد الله عمرو بن العاص مقرونة ببندة عن فتح مصر ، ثم الوالي عبد الله بن سعد ، ويستمر بذكر الولاة متعاقبين وأهم أعمالهم وبخاصة الفتوح في عهودهم ، ومن ولي الشرطة في عهد كل منهم وما وقع في أيامهم من الحروب والقتال (٨٠) . وأسلوبه يتبع الإيجاز في إيراد الحوادث حتى نهاية الدولة الأموية ، إلا أنه يزيد في تفصيلها عندما يدخل في العهد العباسي وعهد بني طولون ، كذلك يستعمل أسلوب الرواية والأسناد

في الاجزاء الاولى من كتابه ، ثم يترك ذلك خاصة في بداية القرن الثاني للهجرة ، فيتحرر من الاسناد ويروي الحوادث بطريقة مباشرة .

وجملة القول في قيمة كتاب ولاية مصر انه يمدنا بمعلومات عن تاريخ مصر لا نجدها في موسوعاتنا التاريخية كتاريخ الطبري والكمال لابن الاثير ، وتكتفي الكتب المختصة بتاريخ مصر كالنجوم الزاهرة بالاشارة العابرة اليها . كما ان المعلومات التي جاءت في الكتاب والتي تناولت مصر من ناحية معينة هي نوع من التاريخ الاداري ، انفرد الكندي في معالجته ، في وقت أهمل مؤرخون آخرون هذا الجانب من تاريخ مصر بشكل عام .

اما كتاب « **قضاة مصر** » فيتناول تاريخ القضاة الذين تولوا قضاء مصر منذ الفتح الى منتصف القرن الثالث (سنة ٢٤٦هـ) ، وله اهمية خاصة ، لا بما يورد من ذكر للقضاة الذين تعاقبوا على قضاء مصر في عصور الاسلام الاولى ، لكن بما يحتويه من تفاصيل صور ووثائق غريبة عن احوال القضاة ونظم القضاء (٨١) . وعن نظم القضاء الاسلامي وسيره .

وبشكل عام فان تراث الكندي الذي وصل الينا يكون في مجموعه حلقة فريدة في تاريخ مصر الاسلامية ، تكاد تنفرد بالقاء الضوء على تاريخ مصر خلال القرن الثالث ولا سيما في العصر الذي ادركه الكندي حتى قيام الدولة الاخشيديية ، متناولا خواص المجتمع والتفاصيل التي تمثل روح هذا العصر ، معتمدا في ذلك على الوثائق التاريخية ، وبعضها واثق رسمية .

ومما يجدر ذكره ان هذا التعدد في فنون التاريخ التي احاطت بمادته ، كان نتيجة تأثيرات معينة اجتمعت مع بعضها في القرن الرابع الهجري ، كما كان للعلوم الاخرى التي تطورت تطورا هائلا في هذا القرن تأثير واضح على المادة التاريخية ، اذ وجد فيها المؤرخون ، من فلسفة ومنطق وجغرافية ، مادة جديدة يمكن الافادة منها في التاريخ . فالفلسفة كان بإمكانها ان تكون اقدر من كل العلوم على الاجابة عن مشكلات التاريخ الكبرى ، غير ان المؤرخين المسلمين لم يستخدموها بشكل فقال لهذا الغرض اذ شغلت أذهانهم مسألة أساسية وهي مدى الثقة بالاخبار التاريخية وعلاقتها بالحقيقة ، وبذلك فانهم في أبحاثهم التاريخية لم يجعلوها موضوعا لمناقشة نظرية .

غير ان ادق محاولة لاختضاع التاريخ للفلسفة من الناحية الظاهرية على الاقل هي التي قام بها **المطهر بن طاهر المقدسي** (ت ٣٥٥هـ / ٩٦٦م) (٨٢) في كتابه « **البدء والتاريخ** » . وكان من المعروف ان هذا الكتاب من تأليف ابي زيد احمد بن سهل البلخي (٨٢) لكن تحقيق المستشرق كليمان هوار (Huart) دل على ان المقدسي هو مصنف ذلك الكتاب ، على أساس ان البلخي توفي سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م ، وقد وضعه

سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م لأحد وزراء السامانيين وحيث كان يعيش بمدينة بست بسجستان (٨٤) .

وفي طبعة هوار الذي كشف عن مخطوطة اسطنبول عام ١٨٧٧م ونشرها في الفترة بين ١٨٩٩ و ١٩١٩ مع ترجمة فرنسية في ست أجزاء ضخمة ، وفي النسخة العربية ، ينقسم الكتاب الى اثنين وعشرين فصلا تتفاوت من حيث الحجم والاهمية ، وفي كل فصل أبواب واذكار من جنس ما يدل عليه والفصل الاول يبدأ على هيئة مقدمة تعالج مناهج المعرفة وحدودها وينتهي (الفصول ٢٠ - ٢٢) بتاريخ الخلافة الى عام ٣٥٠هـ/٩٦٠م ، أي خلافة المطيع العباسي (٨٥) .

وكتاب البدء والتاريخ هو عبارة عن بحث نظري عن المعرفة والعقل ويتجلى فيه استهداف المؤلف النظر الى الكون وتاريخه بمنظار الفلسفة ، كما يؤكد الكتاب على بعض الموضوعات كصفات الخالق والاهمية الثقافية والفلسفية للأديان القديمة والخلافات في العقائد بين مختلف الفرق الاسلامية ، ويحاول المقدسي أن يقدم في الكتاب معلومات علمية وفلسفية كلما أمكن ذلك (٨٦) . والملاحظات الفلسفية فيه متناثرة هنا وهناك ، ومع ذلك فإن محاولة المقدسي ايجاد اتحاد بين الفلسفة والتاريخ كانت رغبة صحيحة قل أن نجد مثلها عند من تلاه من المؤرخين المسلمين . ويمكن القول ان كتاب البدء والتاريخ ألف من وجهة نظر فلسفية (٨٧) .

أما الجغرافية فقد أسهمت بدورها في تطور المادة التاريخية في القرن الرابع الهجري، الذي كان قرن الجغرافية كما كان قرن التاريخ . فقد بلغ عدد الرحالة في هذا القرن حدا كبيرا ، ومعلوماتهم نفذت الى المؤرخين ، فظهر جيل من المؤرخين الجغرافيين ، لأن هؤلاء الرحالة كانوا يحرصون على تدوين مشاهداتهم وتسجيل أخبار رحلاتهم وأسفارهم ويصفون ما عاينوه من مظاهر الحضارة كالمنتجات الزراعية والصناعات والتجارة ، كما أن بعضهم وصف بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في الاقطار المختلفة التي مروا بها ، ودمجوا مشاهداتهم فيما الفوه من كتب تاريخية أو جغرافية (٨٨) .

من هؤلاء الذين أثروا بمن جاء بعدهم من المؤرخين الجغرافيين في القرن الرابع الهجري **أحمد بن عباس بن رشيد المعروف بابن فضلان** ، الذي يحتل المكانة الاولى بين الرحالة سواء من الناحية الزمنية أو الاهمية الذاتية برسائلته المشهورة (٨٩) ، التي كتبها عن رحلته الى البلغار (٩٠) .

لم يكن ابن فضلان عربي الاصل ، بل من موالي فاتح مصر محمد بن سليمان ، الذي أفلح في هزيمة الدولة الطولونية واعادة مصر الى حظيرة الخلافة العباسية في ٢٩٢هـ/٩٠٥م ، ثم أصبح من موالي الخليفة المقتدر العباسي (٩١) . وكان على ثقافة

دينية وأدب رفيع وخلق ، اشتهر باشتراكه في تلك السفارة التي انفذها الخليفة المقتدر بالله العباسي في سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م الى البطار باقليم الفولجا ، وذلك بعد أن أسلم ملكهم وكتب الى الخليفة يسأله أن يعث من يفقهه في الدين ويعرفه شرائع الاسلام ويبني له مسجدا وينصب له منبرا ليقوم عليه الدعوة في جميع اقطار مملكته ، ويسأله بناء حصن يتحصن فيه من الملوك المخالفين له (٩٢) .

كانت السفارة الى بلاد البطار برئاسة سوسن الرسي ، وبين اعضائها ابن فضلان كفتيه ذي خبرة وهب نفسه لنشر الاسلام ، أي انه كان الخير الديني في السفارة بينما كان الرسي مندوب الخليفة لبحث الامور السياسية والحربية . ويحاول ابن فضلان في رسالته أن ينسب لنفسه الدور الرئيسي (٩٣) . غادرت السفارة بغداد في الحادي عشر من المحرم عام ٣١٠هـ/ ١٢ ايار (مايو) ٩٢٢م ومرت في طريقها بهمدان والري ونيسابور ومرو وبخارى حيث التقى ابن فضلان في سبتمبر (ايلول) عام ٣٠٩م/٩٢١هـ بوزير السامانيين والعالم الجغرافي الشهير الجيهاني (٩٤) . ثم ساروا مع نهر جيحون الى خوارزم عند بحر آرال ومروا بصحراء أوست أورت ثم نهر يايقي حتى حوض الفولجا ، أما خط سير الرجعة ، فغير معروف لأن خاتمة الرسالة امتدت اليها يد الضياع (٩٥) .

قدم ابن فضلان في رسالته صورة حية للظروف السياسية في العالم الاسلامي ، والعلاقات بين بلاد الاسلام والبلاد المتاخمة في آسيا الوسطى ، والاصقاع النائية مثل حوض الفولجا ، وذكر عددا من القبائل التركية البدوية القاطنة آسيا الوسطى ، فهو يصف مثالا على ذلك قبيلة من الاتراك يعرفون بالفزية « بأنهم بادية لهم بيوت شعر يحلون ويرتحلون ، ترى منهم الابيات في مكان ، ومثلها في مكان آخر على عمل البادية وتنقلهم واذا هم في شقاء » (٩٦) . وتحدث عن الروس والخزر وأبرز بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية عندهما والعلاقات بينهما . وصور العادات والتقاليد والحياة والاخلاق في ذلك العصر في مختلف المناطق التي مر بها .

استعمل ابن فضلان أسلوبا قصصيا سلسا ولغة حية مصورة ، لا تخلو كما يقول كراتشوفسكي احيانا من بعض الدعابة التي ربما لم تكن مقصودة . كما تميزت كتابته بالوصف الدقيق والشامل مما جعل لهذه الرسالة قيمة علمية جعلت صاحبها شاهدا معينا ، فكان مرجعا أساسيا للمؤرخين الجغرافيين وخاصة المسعودي والاصطخري وياقوت الحموي (٩٧) .

ومن ناحية أخرى فان تأثير نمو علم الجغرافية في عام التاريخ عند المسلمين ، ترك بصماته على اثنين من مؤرخي القرن الرابع الهجري بشكل خاص وهما **الهمداني** ، **الحسن بن أحمد بن يعقوب** (ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م) ويعرف **بابن الحانك الهمداني** ، من

بني همدان ، ولد ونشأ بصنعاء وأقام على مقربة منها في بلدة ريذة ، طاف البلاد واستقر بمكة زمنا ، وكانت من أعظم مراكز العلم في ذلك العهد ، فتفتحت له آفاق المعرفة ثم عاد الى اليمن فأقام في مدينة صنعاء وكانت قاعدة أئمة الزيدية ، واليمن في ذلك العهد تتنازعها تيارات سياسية متعددة (٩٨) .

وفي المجال الذي نبحث فيه ، وهو عملية المزج بين التاريخ والجغرافية في القرن الرابع الهجري ، الناجم عن تجميع المادة التاريخية والوثائق الرسمية الناتجة عن اتساع مجال الاسفار وعمق الملاحظة واخضاع المادة لصياغة منظمة ، وفي هذا المجال يهمننا الهمداني في مصنفين اشتهر بهما «صفة جزيرة العرب» و «الاكليل» ، صفة جزيرة العرب يعتبره اشبرنجر (Sprenger) الى جانب كتاب محمد بن أحمد المقدسي الذي ولد في بيت المقدس في عام ٣٣٥هـ / ٩٤٨م ، «أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم» أقيم ما أنتجه العرب في الجغرافية (٩٩) .

طبع كتاب « صفة جزيرة العرب » في مطبعة بريل في ليدن (هولندا) سنة ١٨٨٤ في مجلدين يحوي الاول الكتاب وفهارسه ، والثاني تعليقات عليه ودراسات عن نسخه وذكر اختلافها . ومقارنة بما في معجم البلدان ومعجم ما استعجم وغيرهما ، بتحقيق د. هـ. مولر (D. H. Muller) ١٨٤٦ - ١٩١٢ م ، وقام الشيخ محمد ابن عبد الله بن بهليد باعادة طبعه في سنة ١٩٥٣م في مطبعة السعادة بمصر ، وأخيرا قام محمد بن علي الاكوع الحوالي باعادة تحقيق الكتاب ونشره (١٠٠) .

يبدأ الهمداني كتابه بمقدمة رياضية جغرافية فيها ذكر المذاهب المختلفة لتحديد الاطوال والعروض ، أما القسم الاساسي فقد كرسه لوصف جزيرة العرب ، ويضم خمسة أبواب رئيسة في وصف تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن . وتحتل اليمن مكان الصدارة في الكتاب ، مع تفصيلات على مساكن قبيلة همدان ، في حين لا تظفر الاقاليم الاخرى الا باشارات عابرة .

أما مصنفه الثاني « الاكليل » فيقع في عشرة اجزاء ، والى عهد قريب لم يعرف منه سوى الجزئين الثامن والتاسع والعاشر وذلك بفضل ابحاث مولر (Muller) وقد نشر الآن وترجم الجزء الثامن بفضل مجهودات العلماء العرب ببغداد وأمريكا ، أما الجزء الاول والثاني فقد كشف عنهما منذ وقت غير بعيد بيرلين المستشرق السويدي لوفجرين (Lofgren) وعشر على الجزء التاسع بمكتبة البارودي ببيروت (١٠١) .

دل كتاب الاكليل على سعة معارف الهمداني ، فقد أفرغ فيه جماع معرفته بالانساب والتاريخ والآثار ، بل وحتى بأدب الحميرين سكان جنوب الجزيرة في القدم ، ولم يكتف بعرض المادة الاسطورية التي تجمعت في الادب العربي بعد الاسلام ، بل بذل

قصارى جهده ليقف منها موقف الناقد ، في ضوء دراسته المباشرة للنقوش التاريخية ، فقد رسم صور الحروف الأبجدية بالمسند مع ما يقابلها بالعربية ، وقراءة النصوص التي أوردها في الاكلیل تدل على معرفته التامة في ذلك الامر (١٠٢) . وبذلك استطاع أن يفك رموز الكتابة العربية القديمة في جنوبي الجزيرة .

لم يكن الهمداني جغرافيا فحسب ، بل وخبرا بتاريخ الجزيرة العربية بشكل عام واليمن بشكل خاص ، استطاع أن يمزج بين التاريخ والجغرافية . ويؤخذ عليه تعصبه تعصبا شديدا قد يحيد به في بعض الاحيان عن جادة الصواب . يقول محب الدين الخطيب في هذا الصدد « ثبت حقائق العلم على صحتها ما استطاع في كل ما لا يمس همدانيته ويمنيته ، فاذا لامس العلم هذا الجانب الحساس من المؤلف وجد فيه ضعفا » (١٠٣) . وفي اعتقادي ان هذا القول على قدر كبير من الصحة .

المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين الهذلي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) ، حجازي الاصل من ولد عبد الله بن مسعود (١٠٤) ، من أقدر المؤلفين في القرن الرابع ، وفي طليعة المؤرخين الذين اعتمدوا على الجغرافية ، أو كما قيل من أولئك الذين يلتقي فيهم المؤرخ والجغرافي . مصنفاته كثيرة ومفقودة ، بقي منها ثلاثة « **مروج الذهب ومعادن الجوهر** » ، « **التنبيه والإشراف** » ، « **أخبار الزمان** » . وهذه المصنفات تعطينا الصورة التي تمثل المسعودي كمؤرخ وجغرافي ، كذلك فان هذه الكتب الثلاثة مثال حي على صعوبة الفصل بين المؤلفات التاريخية والجغرافية .

مروج الذهب ومعادن الجوهر . طبع عدة مرات في جزاين وطبع أخيرا في أربعة اجزاء (١٠٥) . ويقول المسعودي حول الباعث له على تأليفه « ان الناس الفوا كتبنا في التاريخ والأخبار ممن سلف وخلف فأصاب البعض وأخطأ البعض وكل اجتهد بغاية امكانه » ، لذلك قام بتأليف الكتاب « ليدع فيه أخبار العالم وما مضى في اكناف الزمان من أخبار الأنبياء والملوك وسيرها والامم ومساكنها » (١٠٦) . أما لماذا سماه بهذا الاسم ، يقول المسعودي « لنفاسة ما حواه وعظم خطر ما استولى عليه من طوابع بوارع ما تضمنته كتبنا السالفة في معناه وغرر مؤلفاتنا في مغزاه » (١٠٧) .

بصورة عامة يعتبر الكتاب من أهم كتب المسعودي ومن أكثر مؤلفاته التاريخية ايجازا ، وفيه أفضل تصور للحياة الثقافية والاجتماعية في عصر الخلافة ، حوى على كثير من المعرفة والمعلومات الخاصة بعلم الانساب والسلالات ، والاحداث السياسية . وقد وصفه نقولا زيادة بأنه كتاب « سياحة ومعرفة جغرافية وعمران وعلم وملاحظة وأخبار وأساطير » (١٠٨) . أما سيدة اسماعيل كاشف فتقول « انه كتاب تاريخي وجغرافي عظيم القيمة ، لم يكتف فيه المؤلف ببحث الموضوعات التي اعتادها المؤرخون المسلمون ، بل تطرق الى تواريخ الهند والفرس والروم واليهود » (١٠٩) ، وعلي ابراهيم

حسن يعتبره أهم كتب المسعودي على أساس أنه دراسة تاريخية وجغرافية معا ، مع أنه ليس تاريخا متصل الحلقات بل مجموعة حوادث وأخبار (١١٠) .

التنبيه والإشراف . تم هذا الكتاب عام وفاة المسعودي (١١١) ، ويحوي لمعا من ذكر الافلاك وهيئاتها والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتراكيبها وأقسام الأزمنة وفصول السنة ومنازلها والرياح ومهابها والارض وشكلها ومساحتها والنواحي والآفاق وتأثيرها على السكان وحدود الاقاليم السبعة والعروض والاطوال ومصاب الانهار وذكر الامم السبع القديمة ولغاتها ومساكنها ثم ملوك الفرس على طبقاتهم والروم وأخبارهم وجوامع تاريخ العالم والانبياء ومعرفة السنين القمرية والشمسية وسيرة الرسول (صلعم) وغزواته وسنين هجرته وسير الخلفاء الراشدين والخلفاء من بعدهم الى سنة ٣٤٥ هـ وفي السنة التي مات فيها ، وقد تعرض الى ذكر طرف عن ملوك الاندلس (١١٢) .

وبين المسعودي في مقدمة كتابه الاسباب التي جعلته يقتصر فيه على ذكر ممالك معينة فيقول « انما اقتصرنا في كتابنا هذا على ذكر هذه الممالك لعظم ملك ملوك الفرس وتقادم أمرهم واتصال ملكهم وما كانوا عليه من حسن السياسة وانتظام التدبير وعمارة البلاد والرافة بالعباد » . وبالنسبة لمملكتي اليونانيين والروم فقد خصهما بالذكر لأنه « تتلوان مملكة فارس في العظم والعز ولما خصوا به من انواع الحكمة والفلسفة والمهن العجيبة والصنائع البديعة لأن مملكة الروم الى وقتنا هذا ثابتة الرسوم متسقة التدبير وان كان اليونانيون قد دخلوا في جملة الروم منذ ان احتوا على ملكهم » (١١٣) .

ويمكن القول أن المسعودي لخص في هذا الكتاب آرائه في فلسفة التاريخ والكون وآراء الفلاسفة في التدرج والعلاقة بين الحيوان والنبات والمعدن ، بأسلوب قصصي ، فيه براعة ، وبأسلوب جذاب وعبارات ممتعة .

أخبار الزمان . ويقارب ثلاثين مجلدا لا يوجد منها الا جزء واحد في مكتبة فيينا ، وفي المكتبة الملكية بالقاهرة كتاب بهذا الاسم مصور عن نسخة المكتبة الاهلية بباريس في جزء واحد تام (١١٤) .

ومما يجدر ذكره أن المسعودي أكثر من الثناء على « أخبار الزمان » في مروج الذهب والتنبيه والإشراف ، وأحال عليه في مواضيع كثيرة . ولضخامته عمد المسعودي الى اختصاره مرات ، ثم بعثر تلك الثروة العلمية الهائلة في كتبه وفرقها بين مصنفاته (١١٥) ، فكثيرا ما يرى الباحث في كتب المسعودي انه يعرض الى اجمال بعض الموضوعات الطريفة والاحاديث الغريبة في مختلف العلوم والفنون في هذين الكتابين ويلم بالموضوع المامة سريعة ، ثم يذكر انه بسطه وذكره بتمامه في « أخبار الزمان » . وفي هذا الكتاب أشياء غريبة طريفة تفيدنا كثيرا في معرفة التاريخ القديم بوجه عام

ومصر بوجه خاص ، ومن يتمعن به يصل الى نتيجتين ، الاولى ان الانسان فيما مضى من الاجيال كان اقدر منه في هذه الحياة العصرية ، وان السحر والكهانة لعبا دورا كبيرا في غابر الاحقاب ، والثانية ان قدماء المؤرخين كانوا ذوي خيال واسع وقصاصين بارعين قادرين على أن يجسموا الخيال ويلبسوه ثوبا من الحقيقة .

وسيجد القارئ في هذا الكتاب ما بلغه المصريون من الصناعة وعمارة الارض والفنون والعلوم والحكمة والبصر بالكيماويات ، كما يجد فيه العجائب التي اقامها المصريون بالهندسة أو السحر . وان الاهرام ليست وحدها التي اقامها القدماء آيات شاهدة لهم بالقوة . بل ان لقدماء المصريين آثارا أخرى جلية اقاموها في مناطق أخرى من مصر . وفي هذا الكتاب أيضا يستطيع من يعنيه البحث عن الآثار أن يعلم بوجه التقريب مدافن ومخابئ كثيرة ملأها القدماء بالذهب والتحف وغرائب الجواهر والحلي (١١٦) .

ومن ناحية عامة لا يمكن انكار ما امتاز به المسعودي من النشاط العلمي وما اتصف به من موضوعية في الحكم على ما يتعلق بالشعوب والاديان ، فهو يسأل باهتمام ممثلي مختلف العقائد ويفحص كتبهم ويتعرف على آدابهم ويجمع المعلومات بشغف ، فبرز واحتل لنفسه مكانة خاصة بما تميز به منهجه التاريخي جعلت كتبه أشبه بكتب الادب ، فطريقته في التأليف تعتمد على العرض الادبي لا على الاسناد ، فنادرا ما يشير الى مصادره وكتبه تأخذ من كل شيء بطرف بخلاف كتب التاريخ الملتزمة بأخبار الماضي وحده ، وتميزت طريقته التاريخية بالاستجابة لتداعي الافكار والاستطراد والاستسلام للطرائف والغرائب .

أما منهجه في التبويب ، فلا يرقى الى المستوى المطلوب ، فقد كان من الصعب عليه أن يأخذ نفسه باتباع منطق صارم سواء في التفكير أو التعبير (١١٧) ، بالرغم من أنه كان يحاول وضع تبويب وتقسيم مناسبين في تأليفه ، كذلك نبذ طريقة الخوليات ورتب تاريخه وفقا لتسلسل الخلفاء والاسرات الحاكمة والموضوعات .

اهتم المستشرقون بالمسعودي وأعجبوا بما أتى به وقارنوا بينه وبين بعض المؤرخين الآخرين المشهورين . ولقبه المستشرق فون كريمر بلقب هيردوت العرب ، يجمع بين الاثنين حب المعرفة التاريخية والذاب المتصل والرحلة لجمعها وتدوينها ، والاستعداد الكلي لتسجيل الخوارق والعجائب دون تحفظ أحيانا ودون تحيز ، والاهتمام بالمعطيات الجغرافية وتنوع الشعوب والافكار . واذا كان هيردوت أكثر فنا ومنهجية في كتابته التاريخية ، فان المسعودي كان اوسع أفقا وأبعد في الرحلة والاطلاع (١١٨) . ويؤيد هاري بارنر (Barner) هذا التشبيه على أساس أن كلا منهما

له نفس القدرة على الاستطلاع والتأمل والحماسة في جمع المعرفة ، لكن المسعودي كان أسهل انقيادا من هيرودوت في تقبل الاساطير والعجائب (١١٩) .

أما المفكر رينان ، المفكر الفرنسي ، فانه في دراسة مسهبة تضمنت مقارنة ما بين المسعودي الرحالة الجغرافي المؤرخ وبين بوزانياس Pausanias الرحالة الجغرافي والمؤرخ اليوناني في القرن الثاني الميلادي ، لم يستطع أن ينكر أن المسعودي كان أشمل موسوعية وأكثر فضولا علميا واطلاعا (١٢٠) .

وفي القرن الرابع الهجري ، ونتيجة للتمزق السياسي تأثرت المادة التاريخية فظهرت تواريخ محلية عن تاريخ الوحدة السياسية الواسعة، وظهرت سير الشخصيات البارزة وتواريخ المدن . مثال ذلك كتاب « الاوراق في أخبار آل عباس وشعرائهم » للصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله (ت ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م) الذي نادى الراضي والمكتفي ثم المقندر وتوفي بالبصرة (١٢١) . لم يكن عربي الاصل ، وفي رواية أنه تحدث من صلب رجل يدعى صول ، ثم استعرب تماما وغدا نديما للخلفاء ، وكان على صلة وثيقة بتلميذه السابق الراضي (٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م - ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م) (١٢١ ب) . وكتابه «الاوراق في أخبار آل عباس وشعرائهم» أشهر ما عرف به ، وقد عني بنشره ج . هيورت . دن « أخبار الراضي بالله والمتقي لله » ، أو تاريخ الدولة العباسية في ٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م - ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م (١٢٢) . ويبدأ بذكر أخبار الراضي فيقول « قد فرغنا والله الحمد من ذكر أخبار القاهر والاحداث في أيامه ونحن نذكر الآن بيعة الراضي بالله وما كان من أمره والاحداث في أيامه ان شاء الله » (١٢٣) ومن الذين تحدث عنهم الصولي أمر مرذويع السلمي بأصبهان وأنه وصل الراضي ما يفيد قتله اذ دخل اينما المنجم أحمد بن يحيى وعلي بن هارون فأنشدا الراضي في يوم الخميس شعرا يهنيانه بهذا الفتح (١٢٤) .

والحقيقة أن كتاب الصولي هو سيرة الراضي بالله الشخصية وسيرة المتقي لله الشخصية . وقد أدخل الصولي ذكرياته الشخصية مع هذه السير وخاصة الجزء المتعلق بفترة حكم الراضي ، وكان معلما له وبقي نديما بعد وصوله الى الحكم (١٢٥) . وينتهي الكتاب بالسنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م وهي آخر أمر المتقي لله ، فيذكر عماله وقت زوال أمره (١٢٦) .

وفي اعتقاد سوفاجيه (Sauvaget) أن كتاب الصولي هذا يعتبر وثيقة أصلية للعمق الانساني والمثير للشعور (١٢٧) ، في الوقت الذي أثني فيه المسعودي على الصولي وكتابه بقوله « ذكر غرائب لم تقع لغيره وأشياء تفرد بها لأنه شاهدها بنفسه ، وكان محظوظا من العلم ممدودا من المعرفة ، مرزوقا من التصنيف وحسن التأليف » (١٢٨) .
والحقيقة أن الصولي كتب كتابه بطبيعة الاديب ، لأنه كان رجلا أدب ، ألف

كتبا أدبية ، وفي جزء كبير من كتابه أبيات شعرية (ص ٢١-٢٤ و ٢٧ - ٣٠) وهكذا ، وكثير من القصائد التي يتضمنها الكتاب هي من شعر الصولي نفسه .

وطفت تواريخ المدن على غيرها في التدوين التاريخي في تلك المرحلة وأصبح اهتمام المؤرخين في القرن الرابع بالذات منصبا على فعاليتها العلمية والفكرية نتيجة لانحطاطها السياسي ، كان هذه المدن عدت وحدات حضارية في ذلك القرن . ومثال تاريخ المدن « تاريخ بخارى » **للرشخي ، أبي بكر محمد بن جعفر** (ت ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م) وكان قد قدم هذا المؤلف الى نوح بن نصر الساماني ت ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م ، ثم ترجم الى الفارسية فيما بعد (القرن ٦ هـ / ١٢ م) وقد قدر مؤرخو تركستان قيمته وأخضعوه لدراسة منظمة . ويحتوي الكتاب بالاضافة الى تاريخ بخارى ذاتها على اخبار بلاد ما وراء النهر قبل الاسلام وفي فترة الفتوحات العربية ، ولا يخلو من المعلومات الجغرافية القيمة عن المناطق المأهولة حول بخارى والمباني والمحاصيل وأساليب الحياة المختلفة عن العهد السابق لدخول الاسلام الى تركستان (١٢٩) .

المناهج وتطورها :

لقد حدث تغير في هذه المناهج نتيجة للنضج الحضاري واكتمال الفكر التاريخي فيه وهذا التغير تم في امرين : في تدوين المادة وفي تنظيمها .

ففي تدوين المادة حصلت التطورات التالية :

١ - سقوط الاسناد : ففي القرون الثلاث الاولى للتدوين التاريخي ، استخدم المؤرخون الاسناد كما في الحديث فكل واقعة يذكرونها يسندونها الى روايتها حتى يوصلوها براويها الاول الذي هو شاهد عيان ، وبذلك كانوا أمناء في نقل الاخبار ، بل انهم في كل حادثة كانوا يقدمون الروايات المختلفة حولها . ويلاحظ هذا بخاصة عند الطبري (١٢٠) .

وكان السند في البداية مرسلا ، أي ان المؤرخ يذكر أسماء رواة الخبر حتى الراوي الاول ، ومع تقدم وازدياد سلسلة الرواة في الطول للوصول الى الراوي الاول - حتى أصبح السند أطول من المتن - اكتفى المؤرخون بذكر الراوي الاخير ، ويعرف هذا السند بالسند المقطوع ، ويقال ان من استنى ذكر السند محمد بن اسحق (١٢١) ، ويعتبر ذكر السند بمثابة ذكر المصادر المستقى الخبر منها ، والمصدر الاول للخبر هو المستقى من الشاهد العيان أو من اشترك في الحدث نفسه ، أي من له علم مباشر بالواقعة وعليه الاعتماد في روايته الاخبار (١٢٢) .

لكن في القرن الرابع الهجري ، بدأ الاسناد يفقد وظيفته واتجه الى الزوال ،

وفقدت الصلة بين التاريخ وعلم الحديث ، واخذ التاريخ بهذا الشكل يعلن استقلاله بمنهجه الخاص ، اخذ العرض الادبي يبرز في الكتابة التاريخية ، وخير من يمثل ذلك في القرن الرابع الهجري هو المسعودي الذي حذف الاسناد واختصر الرواية .

٢ - تزايد الاعتماد بالوثائق . أدرك المؤرخون في القرن الرابع الهجري قيمة توثيق المعلومات بنصوص اصلية تؤخذ مباشرة من منابع المعلومات ومحفوظات الدواوين ، فبدات تتوطد في المنهج التاريخي الاسلامي ، ولكن دون أن تحول التاريخ مع ذلك الى تاريخ رسمي ، فالكتاب الذي يستعمل الوثائق ، لم يكن مؤرخا رسميا للدولة ، ولكن مؤرخا موثوقا ، احتفظ رغم ارتباطه الوظيفي بحريته في اختيار ما يريد من الوثائق الا في الحالات النادرة ، لأن المؤرخين الاسلاميين كانوا يهدفون الى الاستقلال في الرأي وتوخي الصدق في الرواية ، ولم يتأثروا بالحكام تأثيرا كبيرا ومن أمثلة هؤلاء المؤرخين في القرن الرابع الهجري هلال الصابي ومسكويه والمسبحي (١٢٣) .

اما في تنظيم المادة ، فقد اضيفت طرائق وتنظيمات جديدة لم تكن معروفة من قبل ، تبعا للحاجات التي كانت قد ظهرت في ذلك القرن في اطار التاريخ الاسلامي النامي باستمرار والمتعدد النواحي ، فازدهرت النظرات التاريخية العامة والعالمية في جو ثقافي خصيب ، ووضعت الغالبية العظمى في كتب التواريخ العامة التي كتبت منذ النصف الثاني من القرن الرابع على يد كبار موظفي الدول الاسلامية مما جعل المادة تنظم تنظيمًا جديدًا (١٢٤) ، حيث اعتمد التاريخ العالمي في هذا القرن على أسلوب تاريخ السلالات الحاكمة أو الدول أو الشعوب .

وفي هذا الاطار يمكن أن نضع نماذج ظهرت في القرن الرابع الهجري في التاريخ العام العالمي وتمثلت في كتب المسعودي التي عرضنا لها ، والتي تشكل سلسلة ضخمة ، وكذلك كتاب البدء والتاريخ للمقدسي ، وكتاب تجارب الامم لمسكويه . ويمكن اضافة نموذج آخر للتاريخ العالمي في القرن الرابع الهجري وهو كتاب حمزة الاصفهاني (١٢٥) ، **ابو عبد الله حمزة بن حسن الاصفهاني** (ت ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م) كان مجال درسه اللغة والتاريخ مع انه حضر دروسا على ائمة محدثي عصره في خلال الرحلات التي قام بها ، وزار بغداد في زمن عضد الدولة ابن بويه ما بين سنين ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م و ٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م (١٢٦) . وكتاب « **تاريخ سني ملوك الارض والانبياء** » وضعه سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م ونشره المستشرق جو توالد سنة ١٨٤٤ م / ١٢٦٠ هـ واعيد طبعه باسم « **تاريخ ملوك الارض** » ثم طبع في برلين عام ١٢٤٠ هـ / ١٩٢١ م ، جعله الاصفهاني في عشرة ابواب سرد فيها سني ملوك الفرس والروم واليونان والقبط والاسرائيليين ، ثم ساق تواريخ لخم وغسان وحميز وملوك كندة ، ثم **تواريخ قریش ملوك عرب الاسلام** وجعل له مقدمة مختصرة في توزع الامم في الارض في تقاويمها المتعددة ، وختمه بفصول سرد فيها تواريخ

النيروز بعد الهجرة ، وبعض الاحداث الطريفة المتعلقة بالنجوم والآثار والكوارث الطبيعية ، واخيرا يذكر ولاية خراسان منذ ابي مسلم حتى الحسن بن بويه وسنة ٣٢٩ هـ .

والحقيقة ان هذا الكتاب رغم صغره ورغم ضيق نظر الاصفهاني في الشعوب والارض ، له أهمية كنظرة عالمية من خلال الزمن ، ولذلك وضعناه في اطار التاريخ العام العالمي ، فقد اعتمد الاصفهاني على حسابات النجمين والازياج الفلكية ونظمها في نسق متصل ليضع الامم على ابعاد الزمن ، فتاريخه عمقي زمني ، كما انه بسبب ثقافته العلمية الواسعة اعار النواحي الثقافية مكانا طيبا فجاء كتابه مصدرا ثميننا للأخبار الثقافية (١٢٧) .

والحقيقة ان الاصفهاني في كتابه ينظر الى تاريخ العالم نظرة رجل فارسي خراساني ، ويسهل تعليل ذلك اذا عرفنا انه من أصل فارس ، الا ان نقده لا يتسم بالتعصب الجنسي أو التحامل على العرب ، ولا يتورع من أن ينتقد تواريخ الفرس القديمة ويتهما كلها بأنها غير صحيحة . كما كان يتجه في كتابه الى النقد ويهتم بالدقة في اختيار مصادر معلوماته .

ومن التغير الذي حدث في تنظيم المادة في القرن الرابع الهجري ما تم في كتب تراجم الرجال ، والاتجاه نحو تنظيمها ضمن عدد من الاسس المنهجية ، فظهرت بعض الكتب مرتبة على حروف الهجاء ، وهو الاساس الذي تعتمد عليه كتب التاريخ المحلي الديني ، ولقد ضاعت معظم الكتب التي صنف في هذا القرن على هذا الاساس ، واقدام تاريخ محلي ديني باق رتبته ترجمته على نظام المعاجم ، أي وفقا للترتيب الابجدي ، هو **لأبي الوليد عبد الله بن الفرضي الاندلسي ت ٤٠٣ هـ / ١٠١٣ م** ، المولود في قرطبة عام ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م . درس الفقه والحديث والادب والتاريخ في مسقط رأسه على ابي زكريا يحيى بن مالك والقاضي محمد بن يحيى ، وأصبح فيها عالما في فن الحديث واجتمعت له مكتبة كبيرة في رحلاته (١٢٨) ، وخاصة في رحلته من الاندلس الى المشرق سنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢ م حيث حج وأخذ عن علماء المشرق وسمع منهم وكتب عن آمالهم (١٢٩) . ومصنفه **تاريخ علماء الاندلس** (١٤٠) ، هو المصنف الذي بقي من مؤلفاته ، ويذكر ابن خلكان بأن هذا المصنف هو الذي ذيل عليه ابن بشكوال بكتابه الذي سماه « الصلة » (١٤١) .

جاء في مقدمة المؤلف عن موضوعه « هذا كتاب جمعناه في فقهاء الاندلس وعلمائهم ورواتهم وأصل العناية بهم ملخصا على حروف المعجم قصدنا فيه قصد الاختصار ، اذ كانت نيتنا قديما أن نؤلف في ذلك كتابا على المدن يشتمل على الاخبار والحكايات ثم عاقت عوائقه عن بلوغ المراد ، فجمعنا هذا الكتاب مختصر (١٤٢) . والكتاب أجزاء

علم التاريخ عند المسلمين
عشرة ، جاء ذلك في آخره بهذه العبارة « آخر الجزء العاشر وبه كمل التاريخ ، والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد خاتم النبيين » (١٤٣) .

مما سبق يتبين أن علم التاريخ عند المسلمين في القرن الرابع الهجري ، أصبح جزءا من النهضة الحضارية التي شهدها هذا القرن ، وتأثر بالمؤثرات والمتغيرات التي جرت فيه ، وتطور بالمؤثرات والمتغيرات التي جرت فيه ، وتطور ضمن قواعد معينة شملت مؤرخيه ومادته ومناهجه ، ليصبح هذا العلم في حالة تختلف عما كان عليه في القرون الهجرية الثلاثة الاولى ، وضمن متغيرات معينة .

وفي هذه الدراسة رصدنا التحول الذي حصل في العناصر الثلاثة ، المؤرخ والمادة والمنهج وتبيان المتغيرات التي تم فيها هذا التطور ضمن التمزق في الوحدة السياسية الاسلامية والابتعاد عن المفهوم الديني للتاريخ .

لقد انضمت مجموعات عديدة التنوع من المؤرخين الذين أوجدوا الطابع الحكومي للكتب التاريخية في الوقت الذي لم يتميز فيها مؤلفو هذه الكتب ، وانما استفادوا من المادة التي أصبحت في متناول أيديهم ، كما قاموا بتسجيل جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والادبية ، مما جعل هذا المظهر سمة بارزة تميز بها مؤرخو القرن الرابع الهجري ، بالإضافة الى ظهور المؤرخ الموضوعي والمؤرخ المتخصص في الجهود التاريخية .

وفي المادة حدث التأثير بالحاجات السياسية والادارية والتأثر بالعلوم الاخرى فأصبحت المادة التاريخية تشتمل على أسرار تاريخية نادرة وحقائق توضح ما كانت عليه الحال وأهم هذه العلوم الفلسفة والجغرافية ، فظهر المؤرخ الذي ينظر الى التاريخ نظرة فلسفية والمؤرخ الجغرافي الذي يمزج التاريخ بالجغرافية .

وفي المناهج فقد حدث التغيير نتيجة للنضج الحضاري واكتمال الفكر التاريخي فسقط الاسناد وتزايد الاعتماد على الوثائق وبرز التاريخ الموسوعي العالمي وتوطدت كتب التراجم ضمن الاسس المنهجية .



الهوامش

الاسلامي ومناهج البحث فيه ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

(٩) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ج(١) تحقيق علي عبد الوافي ، القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر ، د.ت ، ص ٢٩١ .

(١٠) جلال الدين السيوطي ، التماريح في علم التاريخ ، حققه محمد بن ابراهيم الشيباني ، الكويت : الدار السلفية ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٨ م ص ١ .

(١١) هاملتون جب ، دراسات في حضارة الاسلام ، ترجمة احسان عباس وآخرون ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٩ م ص ١٥٨-١٥٩ .

(١٢) وهم صابئة حران ، ويختلفون عن الصابئين البابليين ، وصابئة حران في الواقع وثنيون يقولون بالثنوية الالهية ، وقد اتخذوا الصابئة اسما بعد مجيء الاسلام ليضمّنوا لانفسهم الامان الذي منحه الاسلام لاهل الكتاب . انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية على الاصلين الانكليزي والفرنسي ، م(١٤) طبعة بيروت ، ص ٨٩-٩١ . وايضا : فيليب حتي وآخرون ، تاريخ العرب المطول ، ج(٢) ، بيروت : دار الكشف ١٩٥٨ ، ص ٤٣٨ - ٤٣٩ .

(١٣) دائرة المعارف الاسلامية ، م(١٤) ، ص ٨٣ . وللتوسع في ترجمة حياة الصابئ ، راجع : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، م(١) تح الدكتور احسان عباس ، بيروت : ١٩٦٩ - ١٩٧٢ ، ص ٧٥ - ٥٤ . وايضا : كتاب حفيضة ابو الحسن الهلال بن المحسن (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) « الووزاء » تح عبد الستار احمد فراج ، القاهرة : دار احياء الكتب العربية ١٩٥٨ ، ترجمة المؤلف .

D.S. Margoliouth, *Lectures on Arabic Historians*, University of Calcutta, 1929, P. 134.

(١) راجع كتابه « الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري » ، ترجمة عبد الهادي أبو ريده ، م(٢) ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٨ . والعنوان في الاصل يعني عصر الاحياء الاسلامي أو عصر النهضة الاسلامية والمترجم أول من استعمل هذا التعبير .

(٢) ظهر ذلك واضحا بعد الخليفة المتوكل على الله العباسي (ت ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م) حيث بدأ النفوذ التركي ثم مقتل الخليفة المتعسر (٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م) . راجع : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ م(٨) ، بيروت : دار صادر ١٩٧٩ م ، ص ٢٤١ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٤٩٩ .

(٤) للتوسع في ذلك راجع : حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج(٢) ، بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٩٦٥ ، ص ٧١-٨٣ و ١١٣ - ١٢٣ .

(٥) المرجع ذاته : ص ١٤٣ - ١٦٥ و ١٧٢ .

وايضا : ابن الاثير ، المرجع السابق ، م(٨) ص ٥٩٠ .

(٦) تلقب عبد الرحمن الثالث الناصر بالخليفة عام ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م ، كما بويع عبد الله المهدي بالخلافة ولقب بالمهدي أمير المؤمنين عام ٣٩٧ هـ / ٩٠٩ م في مدينة رقادة ليستم هذا اللقب فيمن خلفه من الفاطميين .

(١٣) راجع : المقري نفح الطيب ج(١) ، طبعة القاهرة ١٩٤٩ م ، ص ٢٧٧ . وايضا : ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في اخبار المغرب ج(١) ، تحقيق ليفي بروفنسال وكولاز ، طبعة بيروت : دار صادر ١٩٥٠ ، ص ٢١٠ ، ٢١٨ .

(٧) ج.هرنشو ، علم التاريخ ، ترجمه وعلق حواشيه وأضاف اليه فصلا في التاريخ عند العرب عبد الحميد العبادي ، بيروت : دار الحداثة ، ١٩٨٢ ، ص ٤٠ - ٤١ .

(٨) سيده اسماعيل كاشف ، مصادر التاريخ

ابن خلكان ، م(٤) ، ص ٣٧٧ . وأيضاً :
محمد عبد الله عنان ، مؤرخو مصر الإسلامية ،
القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٥٢ .

قام بتحقيق هذا الجزء من أخبار مصر
للمسبحي وكتب مقدمته وحواشيه ووضع
فهارسه أمين فؤاد سيد وتياري بيانكي ،
ونشره المعهد العلمي الفونسي للأثار الشرقية
الشرقية بالقاهرة ، وهو صورة مكبرة لمخطوطة
الاسكوريال ، ونشر في القاهرة عام ١٩٧٧ .
يعرف بقاعة الذهب ، أحد قصور قاعات
القصر الكبير ببناء العزيز بالله (٣٦٥هـ /
١٩٧٥م - ٣٨٦هـ / ١٩٩٦م) . راجع المقريري ،
الخط م(١) ، طبعة بولاق ، ١٢٧٠هـ ،
ص ٣٨٥ .

المسبحي ، أخبار مصر ، ج(٤٠) ، ص ٢٨ .
نفس المصدر ، ص ٣٠ .
نفس المصدر ، ص ٧٢ .

حول ما جاء في الكتاب عن الحجاز ، راجع :
نفس المصدر ، ص ٧٢ وعن الشام ، ص ٥٦ .
وهي أمثلة توضح العلاقات التي كانت قائمة
بين مصر وهذه الاقطار سياسياً واقتصادياً .

عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، م(٢) ،
بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٩٥٧ ،
ص ١٦٨ . وأيضاً : دائرة المعارف الإسلامية ،
م(١) ، ص ٢٧٧ .

راجع : أمينة بيطار ، العرب والوعي
التاريخي ، الفكر العربي ، عدد ٢٧ (أيار
وحزيران ١٩٨٢) ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

القفطي ، جمال أبو الحسن علي بن يوسف ،
أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، طبعة ليبير ،
ص ٢٣١ وحول وظيفته كخازن للكتب راجع :
Margoliouth, P. 128 .

للاطلاع على ترجمة لحياة الروز داوري ،
راجع : ابن خلكان ، م(٥) ، ص ١٣٤ -
١٣٦ .

Margoliouth, P. 128 .

(٢٦) وحول الاسباب التي جعلت الصابئ يؤلف
هذا الكتاب راجع : ابن خلكان ، المرجع
السابق ، ص ٥٢ .

(٢٧) Margoliouth, op. Cit. , P. 134.

ويؤيد هذا الرأي « جب » ويشير أنه مفقود،
لكنه يذكر أنه لا يمنع أن تكون هذه الشذرات
منه موجودة في كتب أخرى . راجع : جب ،
المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

(١٦) المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(١٧) انظر : ابن خلكان ، م(١) ، ص ٥١ .

(١٨) Margoliouth, P. 135.

(١٩) هو الدكتور محمد حسين الزبيدي ، وقام
بتحقيق وشرح هذا المخطوط ، والذي كان
قد وجد أصلاً في آخر كتاب « الجلع الكافي
في فقه الزيدية في اليمن » باسم « المنتزع
من كتاب التاجي » ، ونشرته وزارة الاعلام في
بغداد .

(٢٠) المنتزع من كتاب التاجي لأبي اسحق
الصابئ ، المقدمة ، ص ٧ .

(٢١) دائرة المعارف الإسلامية ، م(١٤) ، ص ٨٥ .
ومما يجدر ذكره أن هذه الرسائل تم تنقيحها
والتعليق على حواشيتها من قبل الأمير شكيب
أرسلان تحت عنوان « المختار من رسائل أبي
اسحق ابراهيم بن هلال بن زهرون الصابئ »
ونشرته دار النهضة الحديثة . بيروت .

(٢٢) للاطلاع على نص إحدى هذه الرسائل راجع :

(٢٣) المختار من رسائل الصابئ ، ص ١٧-١٨ .

Margoliouth, P. 134 .

(٢٤) ابن خلكان ، م(٤) ، ص ٣٧٧ .

(٢٥) Bianpuis, th. , « La transmissio

-n du Hadith en syrie à Lépo -
que Fatimide » BEO , XXV
(1972) , P. 88.

- (٢٨) هاري المر بارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية ، ترجمة محمد عبد الرحمن برج ، ج(١) القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ ، ص ١٢٩ .
- (٢٩) Margoliouth, P. 128.
- (٤٠) Ibid. , PP. 128 - 129.
- وأيضا : ص ٣٦ - ٣٧ .
- (٤١) للتوسع في الوصول الى قيمة مسكويه كمؤرخ راجع :
J. Sauvaget, *Historiens Arabes*, Paris ; Librairie d'Amérique et d' Orient, Adrien - Maison - neuve, 1946 , pp. 75-81 .
- (٤٢) دائرة المعارف الاسلامية ، م(١١) ، ص ٤٢٤ .
- (٤٣) كحالة ، م(٤) ، ص ٢٢١ .
- (٤٤) السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٨١ ، ص ١٠٠ .
- (٤٥) فرانز روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح أحمد العلي ، بيروت : مؤسسة الرسالة ١٩٨٢ ، ص ١١٦ .
- (٤٦) سالم ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ .
- (٤٧) علي ابراهيم حسن ، استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الاسلامي العام ، القاهرة : النهضة المصرية ١٩٨٠ ، ص ١٢٤ .
- (٤٨) اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ق(١) ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، راجعه ايفور بليانيف ، الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، ١٩٥٧ ، ص ٢٢٢ .
- (٤٩) ابن النديم ، الفهرست ، تح رضا تجدد ، طهران ، ١٩٧١ ، ص ٣ .
- (٥٠) نفس المصدر ، ص ٣٥ .
- (٥١) نفس المصدر ، ص ٤٥ - ٩٧ .
- (٥٢) كراتشكوفسكي ، المرجع السابق ، ق(١) ، ص ٢٢٢ .
- (٥٣) نفس المرجع والصفحة .
- (٥٤) ابن خلكان ، م ٢ ، ص ٩١ .
- (٥٥) عنان ، المرجع السابق ، ص ٣٤-٣٥ .
- (٥٦) كراتشكوفسكي ، ق (١) ، ص ١٦٩ .
- (٥٧) للتوسع بتراث ابن زولاق التاريخي ، راجع : عنان ، ص ٤٥ - ٤٦ .
- (٥٨) جاء ذكر هذه الكتب في ابن خلكان ، م(٢) ، ص ٩١ . وأيضا : جلال الدين السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ج(١) طبعة مصر ، ١٢٩٩ هـ ، ص ٢٦٥ .
- (٥٩) علي ابراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص ١٤٠ .
- (٦٠) عنان ، ص ٣٧ .
- (٦١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مصر ، ج ١ ص ١٥٦ .
- (٦٢) راجع : ابن سعيد الاندلسي (علي بن موسى) المغرب في حلى الغرب ، ج(١) ، القسم الخاص بمصر ، تح زكي محمد حسن وشوقي ضيف وسيد كاشف ، القاهرة : ١٩٥٣ ، ص ٥ .
- (٦٣) مما ثبت أن ابن سعيد الاندلسي اعتمد على كتاب ابن زولاق ما أشار اليه المؤلف حول ذلك في الديباجة حيث قال : « والنقل في ذلك من كتاب الحسن بن زولاق » العيون الدميح في خلى دولة بني طنج . راجع : المغرب في حلى الغرب ، ص ٤ .
- (٦٤) اقتبس القريري في كتابه « انماظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الحلفا » فصلا برمته عن ابن زولاق ، ج(١) ، تح جمال الدين الشيال . القاهرة ، ١٣٦٧ هـ ، ص ١٠٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٧١ و ٢٢٧ - ٢٢٢ . ويقتبس من سيرة المزم في « الواظظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » المعروف بخط القريري ج(١) ، مكتبة الثقافة الفرنسية ، القاهرة ، ١٩٨٧ م ، ص ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٦٠ و ٣٧٧ - ٣٧٨ .

- (٦٥) جاء ذكر حامد بن العباس كوزير للمقتدر في: المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ج (٤) ، تع محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، ١٩٤٨ ص ١٢٢ و ٣٠٥ .
- (٦٦) تم تحقيق هذا الكتاب من قبل مصطفى السقا وإبراهيم الأنباري وعبد الحفيظ شلبي ونشرته مطبعة مصطفى البابي الحلبي في القاهرة عام ١٩٣٨ ، وكان قد عثر على قسم منه المستشرق مترك النموسي في مكتبة فيينا عام ١٩٢٦ .
- (٦٧) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، تع السقا وآخرون ، القاهرة : ١٩٣٨ ، ص ٢٨ - ٤٠ ، ٦٧ ، ٧٤ .
- (٦٨) المصدر ذاته ، ص ٣٩ .
- (٦٩) قام بتحقيق الكتاب عبد الستار أحمد فراج، تحت اسم « الوزراء » أو « تحفة الامراء في تاريخ الوزراء » ، ونشرته دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٨ م .
- (٧٠) ابن خلكان ، م (٦) ، ص ١٠١ ، ص ١٠٥ . وحول ما رواه المؤرخون حول اسلام هلال بعد أن تجاوز الأربعين راجع : عبد الرحمن ابن علي الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ج (٨) طبعة بيروت ، ص ١٧٦ ١٧٩ ، وأيضا أبو منصور عبد الملك بن محمد بن الثعالبي ، يثية الدهر في محاسن أهل مصر ج (٢) ، تع محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ص ٢٤٢ - ٢٦٢ .
- (٧١) هلال بن الحسن ، مقدمة الحق .
- (٧٢) سميحة أبو الفضل ، ذيل مؤرخي الصائبة على تاريخ الطبري ، دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، السنة الثامنة ، العددان ٢٥ و ٢٦ آذار - حزيران ١٩٨٧ ، ص ١٩٤ .
- (٧٣) Margoliouth, P. 147.
- (٧٤) هلال بن الحسن ، مقدمة الحق .
- (٧٥) نفس المصدر ، ص ١٠ . وحول وزراء ابن الفرات ، نفس المصدر ، ص ١١ - ٢٨٣ .
- (٧٦) وصلت الينا في مخطوط واحد ، باسم كتاب
- الولاية وكتاب القضاة ، وطبع مهدبا ومصححا بقلم رفن جست بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت عام ١٩٠٨ م وقد حصل عليه المتحف البريطاني وهو محفوظ فيه تحت رقم Add 324 ، 23 ، ويشتمل على كتابي الولاية والقضاة . راجع : علي إبراهيم حسن ، استخدام المصادر ، ص ١٣٩ .
- (٧٧) هو الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن علي ابن شعيب النسائي (٢١٥هـ / ٨٢٠م - ٣٠٣هـ / ٩١٥م) كان امام أهل عصره في الحديث ، سكن بمصر وله كتاب السنن . راجع : ابن خلكان ، م (١) ، ص ٧٧ - ٧٨ .
- (٧٨) هو أبو القاسم علي بن الحسن بن قديد المصري (ت ٣١٢هـ / ٩٢٤م / محدث ورواية مشهور . راجع : جلال الدين السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ج (١) مصر ١٢٩٩هـ ، ص ١٧٣ .
- (٧٩) حققه الدكتور حسين نصار بنفس العنوان « ولاية مصر » ونشرته دار صادر ببيروت ، د . ت .
- (٨٠) للاطلاع على ما كتبه حول ولاية عمرو بن العاص وولاية عبد الله بن سعد راجع : محمد بن يوسف الكندي ، ولاية مصر ، ص ٢٩ - ٣٧ . الكندي ، كتاب القضاة ، طبعه جوتهيل ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .
- (٨١) نسبته الى بيت المقدس ، راجع : خير الدين الزركلي ، الاعلام م (٧) ، بيروت : دار العلم للملايين ، الطبعة السادسة ١٩٨٤ ، ص ٢٥٣ . ولد البلخي عام ٢٣٥هـ / ٨٥٠م ، باحدى قرى بلخ ، وبدأ نشاطه كمعلم ، ثم اضطره الاهتمام بدراسة العلوم الشرعية الى القيام برحلة الى بغداد مركز الحضارة ، وتوفي عام ٣٢٢هـ / ٩٣٣م . راجع : (كراتشكوفسكي ، القسم الاول ، ص ١٩٨) .
- (٨٢) للتوسع في هذا الموضوع والاثباتات التي اعتمد « هوار » ، راجع : نفس المرجع ، ص ١٩٨ و ٢٢٤ .

- ويؤيد ذلك ياقوت الحموي ، في معجم البلدان م (٢) طبعه وستفولد في ليبستك ، ص ٤٨٥ وما بعدها . أما حول الاماكن التي مرت فيها السفارة بالتفصيل فيمكن معرفتها من : رسالة ابن فضلان ص ٧٣ وما بعدها . رسالة ابن فضلان ، ص ٩١ . (٩٦)
- نقولا زيادة ، الرحالة العرب ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٤٤ . (٩٧)
- الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تح محمد بن علي الاكوع الحوالي ، أشرف على طبعه حمد الجاسر ، الرياض : دار اليمامة ، ١٩٧٤ م ص ٩-١٤ . (٩٨)
- كراتشكوفسكي ، القسم الاول ، ص ١٧٠ - ١٧١ . والمعرفة المزيد حول المقدسي وكتابه انظر : نفس المرجع ، ص ٢٠٨ - ٢١٠ . (٩٩)
- صفة جزيرة العرب ، تح الاكوع ، ص ٣١-٣٢ . كراتشكوفسكي ، القسم الاول ، ص ١٧٠ - ١٧١ . ونشير هنا أن الجزء الثاني من كتاب الاكليل نشر في بغداد عام ١٩٨٠ محققا ومعلقا عليه من قبل محمد بن علي الاكوع الحوالي . (١٠٠)
- لمعرفة المزيد حول هذا الموضوع راجع : جواد علي ، الفصل في تاريخ العرب م (١) ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٦٨ ، ص ٩٠ - ٩٩ . (١٠١)
- صفة جزيرة العرب ، مقدمة المحقق ، ص ١١ . (١٠٢)
- يذكر ابن النديم في الفهرست انه من أهل المغرب . راجع : الفهرست ، ص ١٧١ . (١٠٣)
- طبع في بيروت بأربعة أجزاء ، وقام بتحقيقه محي الدين عبد الحميد ، ونشرته المكتبة الاسلامية سنة ١٩٤٨ . (١٠٤)
- المسعودي ، مروج الذهب ج (١) ، ص ١٢ . نفس المصدر ، ص ١٨ . (١٠٥)
- نقولا زيادة ، المرجع السابق ، ص ٤٧ . (١٠٦)
- كاشف ، المرجع السابق ، ص ٣٦ . (١٠٧)
- علي ابراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص ٨٥ . (١٠٨)
- طبع كتاب التنبيه والاشراف في ليدن عام ١٩٨٤ وهو الجزء الثامن في المكتبة الجغرافية (١٠٩)

- (٨٥) للاطلاع على هذ الفصول وما جاء فيها انظر : الطهر بن طاهر المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج (١) طبعة هوار ، باريس ١٩١٩ ، ص ٨ - ١٧ .
- (٨٦) يعتقد فرانز روزنشال أن المقدسي لم ينجح قط في ابداع صورة متماسكة بالرغم من محاولاته ، علم التاريخ عند المسلمين ، ص ١٦١ .
- (٨٧) لمعرفة المزيد عن كتاب البدء والتاريخ وقيمتها التاريخية راجع : J, Sauvaget, PP. 65 - 72 .
- (٨٨) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ١٤٨ .
- (٨٩) نشرت رسالته في بيروت عام ١٩٨٧ محققة من قبل الدكتور سامي الدهان وهي نسخة فراهين .
- (٩٠) كانت كلمة بلغار تطلق على الشعب وعلى البلاد وعلى الحاضرة التي كانت تقع شرقي نهر الفولغا ، والمعروف أن شعب البلغار أسس في بداية العصور الوسطى دولتين أقدمها التي زارها ابن فضلان وانتشر فيها الاسلام في حوض الفولغا الاوسط أو نهر اتل كما تسميه المصادر العربية .
- (٩١) دائرة المعارف الاسلامية ، م (١) ، ص ٢٥٥ . الزركلي م (١) ، ص ١٩٦ .
- (٩٢) رسالة ابن فضلان ، تحقيق الدكتور سامي الدهان ، بيروت : مكتبة الثقافة العالمية ، ١٩٨٧ ، ص ٦٨ .
- (٩٣) كراتشكوفسكي ، القسم الاول ص ١٨٧ . وحول الآخرين الذين اشتركوا في السفارة : رسالة ابن فضلان ، ص ٧٦ .
- (٩٤) يقول ابن فضلان في رسالته عن الجيهاني « وصرنا الى الجيهاني ، وهو كاتب أمير خراسان وهو يدعى بخراسان الشيخ العميد فتقدم بأخذ دار لنا وأقام لنا رجلا يقضي حوائجنا في كل ما نريد فأقمنا أياما » رسالة ابن فضلان ، ص ٧٦ .
- (٩٥) كراتشكوفسكي ، القسم الاول ، ص ١٨٧ .

- (١٢٥) التي عني بنشرها العلامة المستشرق دي جوجي وقد علق عليها وذيلها بملاحظات كثيرة واقتصرت على النافع منها ، وأخيرا تم تحقيقه ونشره من قبل عبد الله اسماعيل الصاوي في ترجمة عربية في القاهرة عام ١٩٣٨ .
- (١٢٦) للاطلاع على هؤلاء العمال ، راجع : الصولي ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .
- (١٢٧) J. Sauvaget, *Historiens Arabes*, P. 33.
- (١٢٨) المسعودي ، مروج الذهب م (١) ص ١٥ .
- (١٢٩) كراتشكوفسكي ، القسم الاول ، ص ١٦٨ .
- (١٣٠) ليلى الصباغ ، دراسة في منهجية البحث التاريخي ، جامعة دمشق ، دمشق ١٩٨٧ ، ص ٥٧ .
- (١٣١) للاطلاع على ترجمة له ، راجع الفهرست ، ص ١٠٥ .
- (١٣٢) حكمت أبو زيد ، التاريخ ، تعليمه وتعلمه حتى نهاية القرن التاسع عشر ، القاهرة : الاجلو المصرية ، ١٩٦١ ، ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .
- (١٣٣) كاشف ، المرجع السابق ، ص ٤٩ .
- (١٣٤) أمينة بطار ، العرب والوعي التاريخي ، المرجع السابق ص ١٣٤ .
- (١٣٥) للاطلاع على كتبه الاخرى ، راجع الفهرست ، ص ١٥٤ .
- (١٣٦) الزركلي ، م (٢) ، ص ٢٧٧ .
- (١٣٧) روزنثال ، ص ١٨٩ ، شاعر مصطفى ، المرجع نفسه ، ج (١) ، ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .
- (١٣٨) انظر : ابن خلكان ، م (٤) ، ص ١٢١ . وأيضا : الزركلي ، م (٤) ، ص ١٢١ .
- (١٣٩) للتوسع راجع : دائرة المعارف الاسلامية ، م (١) ، ص ٢٥٤ .
- (١٤٠) أصدرته المكتبة الاندلسية ، طبعة كودرا بجزيين ٧ ، ٨ ونشر في عام ١٩٨١ وأخيرا حققه وقدم له ووضع فهارسه ابراهيم الابياري في جزئين ونشر في القاهرة وبيروت ، الجزء الاول عام ١٩٨٣ والجزء الثاني عام ١٩٨٤ .
- (١٤١) ابن خلكان ، م (٣) ، ص ١٠٥ .
- (١٤٢) ابن القرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج (١) ص ١٦ .
- (١٤٣) المصدر ذاته ، ص ١٨ .
- (١٢٢) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، مقدمة المؤلف ، ص ٥٤ .
- (١٢٣) نفس المصدر ، ص ٥ .
- (١٢٤) طبعت هذه النسخة بنفقة عبد الحميد أحمد حنفي في القاهرة عام ١٩٣٨ .
- (١٢٥) للاطلاع على مصنفات المسعودي وهي كثيرة راجع : أخبار الزمان ، مقدمة المحقق . وأيضا : مروج الذهب ، ج (١) ، ص ٨٤ .
- (١٢٦) المسعودي ، أخبار الزمان ، المقدمة .
- (١٢٧) كراتشكوفسكي ، القسم الاول ، ص ١٨٣ .
- (١٢٨) شاعر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ج (٢) ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٠ ، ص ٥٣ .
- (١٢٩) هاري المر بارنز ، المرجع السابق ، ج (٢) ، J. Sauvaget. op. cit, PP. 39-50.
- ص ١٢٨ - ١٢٩ .
- وللتوسع في ذلك راجع :
- (١٢٠) شاعر مصطفى ، المرجع السابق ، ج (٢) ، ص ٥٣ .
- (١٢١) الفهرست ، ص ١٦٧ . ابن خلكان ، م (٤) ، ص ٣٥٦ - ٣٦٠ .
- (١٢٢) دائرة المعارف الاسلامية ، م (١٤) ، ص ٣٨٨ .
- وللاطلاع على علاقة الصولي بالخليفة الواضي راجع : المسعودي ، مروج الذهب ج (٤) ص ٣٢٢ - ٣٢٤ .
- (١٢٣) النسخة التي عني بنشرها ج. هيورث دون نشرتها ثانية في بيروت دار المسيرة ١٩٧٩ .
- (١٢٤) الصولي ، أخبار الرازي بالله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية من ٣٢٢ هـ الى ٣٣٣ هـ من كتاب الاوراق ، عني بنشره ج. هيورث د. د. ، بيروت : دار المسيرة ، ١٩٧٩ م ، ص ١ .
- (١٢٥) نفس المصدر ، ص ٢١ .